



التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم

إعداد
أ.د. عبد الله بن مصلح الثمالي

مكة المكرمة - ١٤٣٨ هـ



ديار بني سعد بن بكر
التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم

إعداد : أ. د / عبدالله بن مصلح الثمالي

جامعة أم القرى ، قسم الاقتصاد الإسلامي

مكة المكرمة

1436هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين ، وبعد .

فإنه مما عُلِم واستفاض بين المسلمين ، أن آمنة بنت وهب ، أم النبي صلى الله عليه وسلم ، وجده عبدالمطلب ، كانا قد دفعا به إلى حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية ، من سعد بن بكر ، من قبيلة هوازن ؛ لترضعه في بادية بني سعد . [(1)] .

وأمر إرضاعه صلى الله عليه وسلم في ديار بني سعد بن بكر مشهور مذكور في جميع كتب السِيَر ، وكثير من كتب الحديث والتأريخ وغيرها ، فهو أمر لا يحتاج إلى إثبات . ففي مسند أحمد أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال : " كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر ، فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ... " [(2)] ، وفي مصنف ابن أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : السلام عليك يا غلام بني عبد المطلب ، فقال : « وعليك » ، قال : إني رجل من أخوالك من بني سعد بن بكر ، وأنا رسول قومي إليك ووافدهم ... " [(3)] .

فبنو سعد بن بكر هم أخوال الرسول صلى الله عليه وسلم بلا شك ، وفي كتاب الأنساب لابن حزم : " بنو سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان ، وهم أظآر النبي صلى الله عليه وسلم ،عندهم استرضع " [(4)] . وقال الأصفهاني : " وبنو سعد تفتخر بذلك على سائر هوازن وحقيق بكل مكرمة وفخر من اتصل منه رسول الله بأدنى سبب أو وسيلة " [(5)] بل وكل هوازن كانت تُعَد في أخواله وتفخر بذلك ،

---

(1) قد كانت حاضرة العرب تفعل هذا مع أبنائها ، لأكثر من سبب ، قيل منها : التعود على خشونة البادية ، واكتساب صحة الجسم ، واكتساب اللغة الفصيحة ، ونحو ذلك ، وقد كانت هوازن من أفصح العرب ، ومن أفصحهم بنو سعد على سبيل الخصوص ، ونقل ابن فارس في : الصاحبي (ص : 32) عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : " نزل القرآن على سبعة أحرف أو قال بسبع لغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن ، وهم الذين يقال لهم عليا هوازن ، وهي خمس قبائل أو أربع ، منها : سعد بن بكر ، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية ، وثقيف، قال أبو عبيد : وأحسب أفصح هؤلاء بني سعد بن بكر ؛ لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم : " أنا أفصح العرب ميد أني من قريش ، وأني نشأت في بني سعد بن بكر ، وكان مسترضعاً فيهم ، وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم " والحديث ضعيف ، انظر : التلخيص الحبير : 10/4 .

(2) مسند أحمد : 29/ 195. وانظر : المستدرك على الصحيحين : 2/ 673 .وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

(3) المصنف : 3/ 331 .

(4) جمهرة أنساب العرب : 265 .

(5) الأغاني : 280/12 .

وعند الطبراني في خبر أسرى نساء هوازن بعد حنين ، نقل قول زهير بن أبي صُرد : " يا رسول الله ، نساؤنا عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كفلنك ... ثم أنشد :

أُمنُن علينا رسولَ الله في كرمٍ .. فإنك المرء نرجوه وندخرُ

أُمنن على نسوةٍ من كنت ترضعها .. إذ فوك يملأه من محضها دررُ

إذ كنت طفلاً صغيراً كنت ترصفها ... وإذ يزينك ما تأتي وما تذر " [1] .

وقال الأصفهاني : " وقد نقل المبرد خبراً لقبيصة بن مخارق الهلالي ، وفيه : " ... ولقبيصة بن المخارق صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد سار إليه فأكرمه وبسط له رداءه وقال : "مرحباً بخالي" ، فقال : يا رسول الله ، رقَّ جلدي ، ودقَّ عظمي ، وقلَّ مالي ، وهِنتُ على أهلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد أبكيتَ بما ذكرتَ ملائكة المساء " [2] . وفي التمهيد لابن عبدالبر عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : " جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا غلام بني عبد المطلب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعليك ، فقال : إني رجل من أخوالك من بني سعد بن بكر ، وأنا رسول قومي إليك ووافدهم " [3] .

وديار بني سعد بن بكر كانت معروفة لدى المؤرخين والبلدانيين في القرون الأولى من الهجرة ؛ لأن القبيلة كانت معروفة باسمها في ديارها ، لذا لم تكن هذه المسألة قديماً محل جدل أو خلاف .

وفي الوقت الحاضر يوجد قبيلة تسكن جنوب الطائف ، هي قبيلة بني سعد [4] ، وهي إحدى بطون قبيلة عتيبة ، وتسكن السراة المنسوبة إليهم الآن (سراة بني سعد)

([1]) المعجم الكبير : 270/5 . وقال في (119/5)المواهب اللدنية مع شرح الزرقاني : 119/5) : حديث حسن .

(2)الكامل في اللغة والأدب : 2/ 31 . وفي أسد الغابة (4/ 366) : " عن ابن عباس ، قال : جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من أخواله، يقال له : قبيصة ... " والخبر رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة رقم (5742) وليس فيه قوله : مرحباً بخالي .

([3]) التمهيد : 171/16 .

([4]) تُقسم قبيلة بني سعد في الوقت الحاضر إلى تقسيمات مختلفة ، انظر : (الطائف ، جغرافيته ، تاريخه ، أنساب قبائله : ص : 91 وما بعدها) ولعل من أهمها ، قسمتهم إلى قسمين وهما : الثبتة والبطنين ، وكل قسم من هذين القسمين ينقسم إلى قسمين ، فتنقسم الثبتة إلى قسمين : اللصة والصريرات . وتنقسم البطنين إلى قسمين : النفعة والطفحة . ثم كل قسم من هذه الأقسام الأربعة له عدة قبائل تنتمي إليه .

وهم يستوطنون عدداً من القرى الكبيرة والصغيرة ، ولعل من أهم قراهم : (السر ، وغرابة ، وعباسة ، وبقران ، والعذبة ، والمهضم ، والخوقاء ، والسحن ، والدار الحمراء ، والخشة ، وقواعد ، والصفاة ، والطفلان ، ولغب ، والرحى ، والخشاشة ، والصبخة ، والدهاسين ، ودفاف ، ومظللة ، وشقصان ، وكلاخ ، والسديرة) وغيرها كثير ، والمهنة الرئيسة هي الزراعة ، ولعل من أشهر أوديتهم : (وادي سلاّمة ، وادي السر ، وادي بقران ، وادي بسل ، وادي لزّان ، وادي فليحة ، وادي صلّا ، وادي مظلله ، وادي الشوحطة ، وادي البان ، وادي جدارة) . وغيرها كثير .

وهذه القرى والأودية كلها في السراة ، ومن أوديتهم في تهامة : (الجوف ، وحسِين ، وأيّان ..) وغيرها .

ومنها أيضاً قرى وأودية العِيَلة جنوب الشفا ، وهم كما يذكر نسّابوهم من الطفحة من بني سعد ، وكذا قبيلة وقدان في وادي نخب بجوار الطائف .

جنوب الطائف ، وهي تبدأ من حدود قبيلة ثمالة ووادي جفن بالقرب من الطائف (في حدود 25كم) إلى حدود قبيلة بني الحارث على بعد (100كم) تقريباً ، وتتألف من عدة قبائل ، وتستوطن مجموعة من القرى والأودية .

وإحدى هذه القبائل هي قبيلة (الذويبات) [1] والنسب إليها (الذويبي) شاع بين الناس أنهم ينتسبون إلى أبي ذؤيب ، والد حليمة السعدية ، أو إلى بني ذؤيبة إحدى فروع بني سعد بن بكر ، الذين أُسترضع فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويوجد في واديهم وهو وادي (الشوحطة) قرب قرية منه اسمها (الدهاسين) آثار مسجد وبيوت خرِبة ، يقال هي آثار حليمة السعدية ، فالبيوت بيوتها ، والمسجد مسجدها ، ويُشاع أنه بني في العام الخامس الهجري ، وأصبح هذا الأمر شائعاً مشتهراً بين عامة الناس ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في هذه المواضع في صغره .

وقد أدّى وجود هذه القبيلة بهذا الاسم في هذا الموضع ، مع هذه الآثار ، إلى ترسيخ هذه الفكرة في أذهان العامة ، حتى كادت أن تكون في أذهان الجميع حقيقة لا تقبل النقاش ، وأصبحت التقارير الإعلامية تترادف حول الموضوع ، من صحف وإذاعات وتلفزيونات ، ومواقع للشبكة العنكبوتية وغيرها ، وأصبحت قوافل السياح ترد للموضع، من كل الجنسيات ، وفي كل الأوقات .

ولم يقتصر الأمر على عامة الناس ، بل تجاوز الأمر إلى الخاصة من الباحثين والمؤلفين ، كما فعل فؤاد حمزة في كتابه : قلب جزيرة العرب ، حيث ذكر أن ديار بني سعد ، ومنهم حليمة السعدية ، تقع إلى الجنوب الشرقي من جهة الطائف[2] ، وكما فعل عمر عبدالجبار في كتابه : قصة الأدب في الحجاز ، حيث قال عن بني سعد : "قبيلة عربية شريفة الأرومة ، منها حليمة بنت أبي ذؤيب ظئر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وديارها من الطائف إلى جهة الجنوب الشرقي " [3] ، وظاهر هذا أن هذه هي ديار بني سعد بن بكر قوم حليمة ، ونحوه ما ذكره محمد شرّاب في المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ، حيث قال عن بني سعد بن بكر : " بطن من هوازن العدنانية ، وهم حضنة رسول الله ولا زالوا في منازلهم القديمة ، في قرن المنازل ، وجنوب الطائف في بسل ومظللة .." [4] . فجعل من منازلهم القديمة بسل ومظللة جنوب الطائف . وذكر محمد سعيد آل كمال قبيلة بني سعد بن بكر فقال : " وبنو سعد بن بكر بن هوازن المعروفون بسكناهم شرقي الطائف " [5] ، وحين ذكر قبيلة ناصرة من بني الحارث جنوب الطائف قال : " والصحيح أنهم من ناصرة بن

([1]) قبيلة الذويبات هؤلاء من الصريرات من الثبتة من بني سعد من عتيبة .
(2) قلب جزيرة العرب : 163 .
([3]) قصة الأدب في الحجاز : 98 .
([4]) المعالم الأثيرة : 140 .
([5]) الطائف جغرافيته ، تاريخه ، أنساب قبائله : 173 .

فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن ، وديارهم في ديار بني سعد بن بكر " [1] ، وقال أيضاً : " إن من الملاحظ أن بني سعد من قبيلة عتيبة ، ولا تزال بمساكنها القديمة شرقي الطائف ، في بقران والمعدن ووادي الحدب وصلّاء وكلاخ وجدارة والذيبة وفليحة " [2] .

وقد صرّح بهذا الشريف محمد بن منصور في كتابه : قبائل الطائف وأشراف الحجاز ، حيث ذكر عند حديثه عن قبيلة (الذويبات) ما نصه : " ومنهم حليمة السعدية ، حاضنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وببلادهم بيتها ، وقد أخبرني بعض العارفين أن مكان بيتها الآن مسجداً ، ولكنه قديم خرِب ، فحبذا لو عمرته الحكومة السعودية ، كأثر من آثار الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقول نسّابوهم إن تسميتهم بالذويبات هو نسبة إلى والد حليمة أبي ذؤيب عبدالله بن الحارث " [3].

وحيث إن هذا الواقع المشهور لا توجد أدلة مقبولة على إثباته وتصحيحه ، فقد رأيت أنه لابد من تحقيق هذه المسألة ، والتعرف على المواقع والديار التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بحسب ما تقتضيه الأدلة والنصوص ، ومعرفة حقيقة هذا الفكر الشائع العام ، الذي غلب على العامة ، واستولى على أذهانهم . ثم تجاوزهم إلى الخاصة ، فإن المواضع التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم لها أهمية خاصة عند المسلمين ؛ لأنها جزء من سيرته ، فإن سيرته صلى الله عليه وسلم تشمل المكان ، كما تشمل أيضاً الزمان والحدث .

وقد كنت نظرت في تحقيق هذه المسألة بكتابة بحث صغير خاص في هذا الموضوع ، قبل أكثر من ربع قرن ، ثم توقفت تقريباً عن مواصلة تحريره أو توثيقه أو نشره ، إلا من مطالعات متباعدة ، وإضافات محدودة ، وبعض المشاركات العلمية ، أو بعض المناقشات حول الموضوع ، مع مهتمين أو مختصين . ثم عدت لموضوع هذا البحث ثانية ؛ حيث أعدت تحريره والإضافة إليه ، وذلك بعد أن دعيت من قبل دارة الملك عبدالعزيز ، للمشاركة في حلقة النقاش التي أقامتها في مكة المكرمة ، في مركز تاريخ مكة المكرمة ، وذلك بتاريخ : (21/ 1/ 1434هـ) وكان عنوانها : (تحديد موضع ديار بني سعد بن بكر) وذلك ضمن موضوع الأطلس التاريخي للسيرة النبوية ، الذي تقوم الدارة مشكورة على تنفيذه .

وقد عرضت هذا البحث على الإخوة في برنامج : مواقع التاريخ الإسلامي المرتبطة بالسيرة النبوية ، والذي يأتي ضمن : مشروع الملك عبدالله للتراث الحضاري ، فأوصى فريق هذا البرنامج بطبع هذا البحث ونشره ، واقترح أن يزود ببعض الخرائط الجغرافية وبعض الصور للمعالم الجغرافية والأثرية المرتبطة بموضوع البحث ، مما دعاني

---

(1) المصدر نفسه : 88،89 .
(2) المصدر نفسه : 97 .
(3) قبائل الطائف وأشراف الحجاز : 83 . : 97 .

للعودة للبحث ثالثة ، ، حيث قمت ـ بحمد الله ـ بإضافة بعض الأفكار العلمية ، مع مزيد من النصوص والتوثيقات ، بالإضافة إلى تزويده ببعض الخرائط والصور للمعالم الجغرافية والأثرية الواردة في هذا البحث ، حتى خرج في ثوبه الحالي .

وقد أسميت هذا البحث : (ديار بني سعد بن بكر التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم) .

حدود البحث :

أردت بهذا الاسم أن أجعل لهذا البحث حدوداً زمانية ومكانية ، فالزمان هو مدة بقائه صلى الله عليه وسلم في ديار بني سعد بن بكر ، وقد قيل إنها بلغت ست سنين [1] ، أما المكان فهو المواضع والديار التي درج فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، من ديار ومنازل قبيلة بني سعد بن بكر ، وذلك خلال تلك السنين التي قضاها صلى الله عليه وسلم هناك ، كان فيها يرعى الغنم مع إخوته من الرضاعة ، وحدثت له فيها حوادث كثيرة ، وأشهرها وأهمها بلا شك حادثة شق الصدر الأولى ، فقد روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل ، وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأَمه ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني : ظئره ـ فقالوا : إن محمداً قد قتل فاستقبلوه ، وهو منتقع اللون ، قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره " [2] .

وهذه الحادثة حصلت في ديار بني سعد بن بكر ، بدليل ذكر الظئر هنا ، وصرح بهذا في رواية ابن إسحاق عن نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له : " يا رسول الله أخبرنا عن نفسك ـ قال : نعم أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ، فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهماً لنا إذ أتاني رجلان ـ عليهما ثياب بيض ـ بطست من ذهب مملوءٍ ثلجاً ، ثم أخذاني فشقا بطني ، واستخرجا قلبي ، فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج ... " [3] . فصرّح هنا أن الحادثة حصلت في ديار بني سعد بن بكر .

---

(1) البداية والنهاية : 2 / 277 . وفي سبل الهدى والرشاد (1/ 391) : " قال الواقدي رحمه الله تعالى : وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول: رجع صلى الله عليه وسلم إلى أمه وهو ابن خمس سنين ، وكان غيره يقول : رجع إليها وهو ابن أربع سنين ، وذكر الأموي- رحمه الله تعالى- أنه صلى الله عليه وسلم رجع وهو ابن ست سنين تُزيره جدّه في كل عام " .

(2) صحيح مسلم 1 / 147 .

(3) صحيح السيرة النبوية ، للألباني : 17 ، وقال عنه : وإسناده جيد قوي .

فالمقصود من هذا البحث هو الاقتصار على هذا الزمان وهذا المكان ، حيث حدثت فيهما تلك الأحداث من السيرة ، ثم لا يُعني البحث بعدئذ بما عدا ذلك ، وهل بقي بنو سعد بن بكر في هذه الديار أو غادروها ؟ وهل توسعت أرضهم بعد زمن البعثة أو ضاقت ؟ وهل قبيلة بني سعد التي تسكن جنوب الطائف الآن ، هم بنو سعد بن بكر أظآر الرسول صلى الله عليه وسلم أو غيرهم ؟

فكل هذه القضايا خارجة عن هدف البحث وحدوده الزمانية والمكانية ، وما يرد منها في البحث ، فإنه يرد ـ إذا دعت الحاجة إلى إيراده ـ للاستدلال به على أصل الموضوع ؛ لإثبات مسألة ما ، أو ليُظهِر تناسق مسائل البحث ، وتآلف قضاياه ، لكنه ليس مقصوداً للبحث ، ولا هدفاً من أهدافه .

فأين هي هذه المواضع التي عاش فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ست سنين من عمره تقريباً ، وحصلت له فيها تلك الحوادث ، والتي تعتبر جزءاً من سيرته صلى الله عليه وسلم ؟ وهل هي تلك المواضع في جنوب الطائف ، المشهورة عند العامة الآن ، أو هي مواضع وديار أخرى غيرها ؟

هذه هي أسئلة هذا البحث الرئيسة التي سيجيب عنها مفصلاً بعد هذه المقدمة ، وذلك في فصلين وخاتمة ، على النحو التالي :

الفصل الأول : سكان السروات جنوب الطائف في زمن البعثة .

الفصل الثاني : تحديد ديار بني سعد بن بكر ، التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث .

وفي ختام هذه المقدمة يطيب لي أن أشكر القائمين على برنامج : مواقع التاريخ الإسلامي المرتبطة بالسيرة النبوية ، ومشروع الملك عبدالله للتراث الحضاري ، وعلى رأسهم صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز ، رئيس الهيئة العامة للسياحة والآثار ، على موافقتهم على طبع ونشر هذا البحث ، داعياً لهم بالعون والتوفيق والنجاح في كل ما يقومون به من جهد لخدمة التراث الحضاري لهذا البلد الكريم بصفة عامة ، والتراث المتعلق بالتاريخ الإسلامي بصفة خاصة ، والتراث المتعلق بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بصفة أخص .

أسأل الله العون والسداد ، وأتوكل عليه .

الفصل الأول : سكان السروات جنوب الطائف في زمن البعثة :

المقصود من إيراد هذا الفصل هنا هو الجواب عن الشبهة المنتشرة بين العامة والخاصة ، والتي يجزم أصحابها بأن بني سعد بن بكر بن هوازن كانت لهم سراة جنوب الطائف ، هي السراة التي تعيش فيها قبيلة بني سعد الآن جنوب الطائف ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم عاش هناك أول حياته ، حيث إن آثار والدته حليمة السعدية ما زالت باقية حتى الآن في تلك السراة .

والإجابة عن هذه الشبهة وإثبات أن بني سعد بن بكر لم يكن لهم سراة جنوب الطائف زمن بعثته صلى الله عليه وسلم ، مفيد جداً ويعطينا القدرة للحكم على أن موضع استرضاعه صلى الله عليه وسلم ونشأته صغيراً لم يكن جنوب الطائف ، ولا في المواضع المعروفة الآن ، مما يدعونا للبحث والتعرف على الديار الحقيقية لبني سعد بن بكر في زمن البعثة ، ثم تحديد أين كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعيش من تلك الديار ؟ وهو موضوع الفصل الثاني إن شاء الله .

وسيتم تقسيم هذا الفصل إلى المبحثين التاليين :

المبحث الأول : أدلة القائلين بأن ديار بني سعد بن بكر التي استرضع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم كانت جنوب الطائف ، ومناقشتها .

المبحث الثاني : الأدلة على أنه لم يكن لبني سعد بن بكر ديار ، أو سراة جنوب الطائف .

المبحث الأول : أدلة القائلين بأن ديار بني سعد بن بكر التي استرضع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم كانت جنوب الطائف ، ومناقشتها :

ليس لهؤلاء من دليل سوى الأمر الواقع [1] ، والذي يتلخص في :

1/ وجود قبيلة بهذا الاسم (بنو سعد) في هذه الديار الآن ، فهم إذاً بنو سعد بن بكر ، وهذه منازلهم من الجاهلية .

2/ وجود بطن من هذه القبيلة اسمه (الذويبات) مما يعني أنهم بنو أبي ذؤيب ، والد حليمة السعدية ، أو هم بنو ذؤيبة من بني سعد بن بكر .

3/ وجود آثار بيوت مهدمة ، والشائع المتناقل أنها آثار حليمة السعدية التي عاشت هنا . وأنها قد أسلمت في العام الخامس الهجري وبنت مسجدها هنا .

ولا أرى أن مثل هذه الحجج المحتملة تكفي لإثبات هذه الدعوى الكبيرة ، وذلك لأكثر من سبب ، ومن أهمها :

أولاً : أن هذا الرأي خلا من أي نص تاريخي يدعمه ، ولو صح هذا الرأي لما عدِم أصحابه نصاً تاريخياً واحداً لإثباته ، وسيأتي في أدلة الرأي الآخر عشرات النصوص والآثار التاريخية التي تخالفه .

ثانياً : أن الاعتماد على ما هو واقع الآن ؛ لكي نثبت به واقعاً قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام ، غير مقبول علمياً ، فالزمن الطويل كفيل بإحداث أمور كثيرة ، يتغير فيها الواقع إلى خلافه ، والقبائل تتحرك من أماكنها كثيراً ، وقد تهاجر من ديارها اختياراً ، أوقد تُحارَب فتطرد جبراً من ديارها إلى ديارٍ بعيدة ، وهجرات القبائل ونزوحها عن مواقعها أمر ثابت تاريخياً ، ومشاهد قديماً وحديثاً ، والأمثلة عليه كثيرة جداً ، فإذا قلنا إن بني سعد جنوب الطائف الآن هم بنو سعد بن بكر ، فما الذي يمنع أن يكونوا قد هاجروا إلى هذا الموقع في فترة تاريخية متأخرة ، وأنهم لم يكونوا هنا زمن حضانتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ؟ حيث لا يملك هؤلاء أي نص يثبت وجودهم هنا في تلك المدة ، بل النصوص على خلاف هذا ، كما سيأتي .

ثالثاً : إذا أردنا أن نترقى في فرض الاحتمالات ، فيمكننا أن نقول : ما هو الدليل على أن بني سعد ، سكان جنوب الطائف الآن هم بنو سعد بن بكر ؟ ولا أريد أن أتوسع في هذا الاحتمال ، بالرغم من وروده ، بل قد قال به باحثون معاصرون [2] لكن يكفيني من هذا

---

(1) انظر على سبيل المثال : الشريف محمد بن منصور ، قبائل الطائف وأشراف الحجاز : 83 .

(2) منهم الشيخ حمد الجاسر ، انظر : العرب ، السنة الثلاثون ، ص : 425 .

الاحتمال وجه الاستدلال ، وهو القول بأن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل الاستدلال به . ووجود بني سعد هنا لا يعني بالضرورة أنهم هم بنو سعد بن بكر ، ما لم ترد نصوص تثبت هذا .

رابعاً : ومثل ما قيل من جواب في شأن وجود قبيلة بني سعد في هذا الموضع مما تقدم ذكره ، يمكن أن يقال في شأن وجود قبيلة (الذويبات) فالحجة واحدة ، والجواب عنها واحد ، وملخصه المطالبة بدليل واحد يثبت أن قبيلة الذويبات هم بنو أبي ذؤيب ، أو هم بنو ذؤيبة . وأن هذه مساكن بني أبي ذؤيب في زمن البعثة ، وهذا الدليل غير موجود قطعاً ، ولا يمكن الإتيان به ، بل ستأتي نصوص تدل على أن بني ذؤيبة من سعد بن بكر لم يكونوا هنا .

ثم على فرض أن قبيلة (الذويبات) الآن هم بنو ذؤيبة أو من ذرية أبي ذؤيب ، فما المانع أن يكونوا قد هاجروا إلى هنا في زمن متأخر ، حيث لم نجد نصاً يثبت أن هذه الديار لهم زمن البعثة ، بل النصوص المترادفة تثبت أن المواضع التي تقيم فيها قبيلة (الذويبات) الآن لم تكن لبني ذؤيبة زمن البعثة ، كما سيأتي ذكره .

خامساً : أما ما قيل من أن هذه الدور المهدمة هي منازل حليمة السعدية ، وأن بقايا هذا المسجد هو مسجدها الذي بنته ـ كما يشاع هناك ـ في العام الخامس من الهجرة ...

فهذا القول شديد الضعف ، وتعلّق بخرافة لا حقيقة لها ، ومن يشاهد الآن هذه المنازل ، وهذا المسجد المزعوم يدرك ذلك تماماً ، فهي مجرد بقايا جُدُر ومنازل مهدمة ، وبعضها مجرد رضْمٍ لا دليل فيه على قِدم زمن ، وليس فيها ما يدل على أنها بنيت منذ خمسة عشر قرناً ، وهي لا تختلف عما يقوم حولها أو قريباً منها من مساكن ، وعمرها الزمني لا يختلف عنها ، بل بعضها واضح الحداثة .

أما القول بأن حليمة أسلمت في العام الخامس للهجرة ، فالغالب أن هذا التحديد بسبب رواية الواقدي لخبر ضمام بن ثعلبة ، وافد بني سعد بن بكر للرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكر ابن كثير وغيره أن الواقدي روى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : " بعثت بنو سعد بن بكر في رجب سنة خمس ضمام بن ثعلبة ، وكان جلداً أشعر ذا غديرتين ، وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم " [(1)] .

وخبر قدوم ضمام بن ثعلبة ، وافد بني سعد بن بكر رضي الله عنه ، إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة خبر مشهور ، وفيه أنه أسلم ثم رجع إلى قومه ودعاهم إلى الإسلام ، ثم أسلموا جميعاً ، يقول الراوي : " فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره

---

(1) السيرة النبوية لابن كثير : 118/4 ، وانظر : الطبقات الكبرى لابن سعد : 1/ 228 ، التمهيد لابن عبد البر : 16 / 167 ، وفيه : " وقال الواقدي : قدم ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر عام الخندق ، بعد انصراف الأحزاب فأسلم فكان أول من قدم من وفد العرب " .

رجل ولا امرأة إلا مسلماً " [1] . إلا أن تحديد الواقدي لهذا القدوم بأنه كان في العام الخامس ، لم يوافقه عليه أهل العلم ، وردوه لأكثر من سبب ، وقد لخصها ابن حجر ـ في الجواب عمن قال إن الحج لم يذكر في خبر ضمام لأنه لم يفرض بعد ـ فقال : " ... وكأن الحامل له على ذلك ، ما جزم به الواقدي ومحمد بن حبيب ، أن قدوم ضمام كان سنة خمس ، فيكون قبل فرض الحج ، لكنه غلط من أوجه :

أحدها : أن في رواية مسلم أن قدومه كان بعد نزول النهي في القرآن عن سؤال الرسول ، وآية النهي في المائدة ، ونزولها متأخر جداً .

ثانيها : أن إرسال الرسل إلى الدعاء إلى الإسلام إنما كان ابتداؤه بعد الحديبية ، ومعظمه بعد فتح مكة.

ثالثها : أن في القصة أن قومه أوفدوه ، وإنما كان معظم الوفود بعد فتح مكة .

رابعها : في حديث ابن عباس أن قومه أطاعوه ، ودخلوا في الإسلام بعد رجوعه إليهم ، ولم يدخل بنو سعد وهو بن بكر بن هوازن في الإسلام إلا بعد وقعة حنين ، وكانت في شوال سنة ثمان ... فالصواب أن قدوم ضمام كان في سنة تسع وبه جزم ابن إسحاق وأبو عبيدة وغيرهم " [2] . فإذا كان الصواب هو أن قدوم ضمام بن ثعلبة ، وافد بني سعد بن بكر ، كان في العام التاسع من الهجرة ، فكيف يقال إنها اسلمت في العام الخامس ؟

وهذا على فرض إسلامها ، وإلا فقد وقع خلاف في إسلامها ، وقد أشار إلى هذا الخلاف ابن القيم بقوله : " واختلف في إسلام أبويه من الرضاعة ، فالله أعلم " [3] .

ولا أعرف نصاً صحيحاً صريحاً ، يدل على أن حليمة السعدية أدركت الإسلام وأسلمت ، وهناك بعض الروايات التاريخية تقول إنها قدمت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعد غزوة حنين ، منها ما روى البيهقي عن عمارة بن ثوبان أن أبا الطفيل أخبره قال : " كنت غلاماً أحمل عضو البعير، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم نعماً بالجعرانة ، قال : فجاءته امرأة فبسط لها رداءه ، فقلت : من هذه ؟ قالوا : أمَّه التي أرضعته " [4]

---

(1) الحديث ورد بروايات عدة جميعها ـ كما ذكر الألباني ـ صحيحة أو حسنة ، وانظر : صحيح وضعيف سنن النسائي : رقم (2092) .

(2) فتح الباري : 1 / 152 . وقد أشار لهذا أيضاً في ترجمة ضمام في : الإصابة (396/3) ، فقال : " وزعم الواقدي أن قدومه كان سنة خمس ، وفيه نظر . وذكر ابن هشام عن أبي عبيد أن قدومه كان سنة تسع ، وهذا عندي أرجح "

(3) زاد المعاد في هدي خير العباد : 1/ 81 .

(4) دلائل النبوة : 5/ 199 . وانظر ما يأتي صفحة : 79 ، حيث تم إيراد نص يفيد أن حليمة توفيت قبل عام الفتح بزمن بعيد .

وهذا أثر ضعيف لا يصلح التعلق به [1] ، وهناك روايات أخرى تقول إن من قدم إلى الجعرانة هي أخته وليست أمه ، ولو ثبت أن أمه قدمت عليه صلى الله عليه وسلم لاحتفى بها احتفاء كبيراً يليق بأم غابت عن ابنها أكثر من خمسين عاماً ، ولنقل هذا الحدث بروايات صحيحة وثابتة ، فهذا حدث كبير وليس حدثاً صغيراً ، فلا يتصور أن ينقل برواية ضعيفة كهذه .

فخبر إسلامها إذاً مشكوك فيه ، ولا يمكن الجزم به ، فكيف يقال إنها بنت مسجداً ؟ لكن لو سلمنا جدلاً أنها قَدِمت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الفتح وأسلمت [2] ، فهي قدمت من ديار قومها التي ثبت أنها لهم ، مما سيأتي ذكره ، ولا دليل أنها قدمت من جنوب الطائف ، والأهم أنه لا دليل على أن هذا البيت بيتها ، وهذا المسجد مسجدها ، بل كيف تبني مسجداً قبل أن تسلم ؟ حيث يفترض إسلامها عام الفتح مع قومها ، فقومها عام الفتح كانوا كفاراً يقاتلون الرسول صلى الله عليه وسلم مع جيوش هوازن ، وابنتها الشيماء كانت إحدى الأسرى في حنين ، ثم أسلم بنو سعد بعد حنين .

هذا كله تعلّق بمحالات ، وتمسك بخرافات شاعت في عصور الجهل ولا يسندها أي دليل ، فما أحوجنا إلى التعقل أثناء مناقشتها ، وخصوصاً إذا علمنا أننا نناقش مسألة تتعلق بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما يحتم علينا تحري الصواب في إثبات أو نفي أي حدث يتعلق بهذه السيرة ، وأيضاً إذا نظر إلى هذه المسألة في ظل النصوص المترادفة التي تعارضها ، مما يحتم علينا التجرد من الرغبات الخاصة ونبذ التعصب للرأي بلا دليل ، والتسليم بالأدلة الظاهرة متى وجدناها ؛ لأننا نتحدث عن سيرته صلى الله عليه وسلم .

سادساً : وأخيراً يمكن أن يقال إن ديار بني سعد جنوب الطائف بعيدة نوعاً ما عن مكة (هذا الموضع في حدود 200كم) مما يقلل من إمكان أن تسمح قريش بالسفر بأبنائها الرُضّع إلى هذه المسافة البعيدة ، وخصوصاً في ذلك الزمن الذي يقل فيه الأمن ، ولابد أن تكون ديار بني سعد بن بكر على مسافة أقرب من هذه المسافة ، كما سيأتي بيانه .

(1) قال عنه ابن كثير : هذا حديث غريب ولعله يريد أخته . البداية والنهاية : 418/4 . وأخرجه أبو داود : 4 / 337 ، وسكت عنه ، وقال المنذري : معضل ، وقال الألباني : ضعيف الإسناد . ضعيف سنن أبي داوود : 508/1 . وقال إبراهيم قريبي في مرويات غزوة حنين : " الحديث لم يصح ؛ لأن فيه جعفر بن يحيى بن ثوبان، وعمارة بن ثوبان ، وكلاهما مجهول الحال " 64 .

(2) أورد إبراهيم القريبي الآثار التي ذكرت إسلام أمه صلى الله عليه وسلم ، وقدومها عليه في الجعرانة ثم قال : " والآثار السابقة وإن كانت لا تخلو من مقال ، لكنها يعمل بها في مثل هذه المسألة التاريخية ؛ إذ لا يوجد معتمد فيها إلا هذه الآثار ، وليس لها معارض يدفعها " مرويات غزوة حنين : 227 . وقد ألف الحافظ مغلطاي جزءاً في إسلامها ، لخصه الشامي في : سبل الهدى والرشاد (1/ 384) وأورد من قوله :

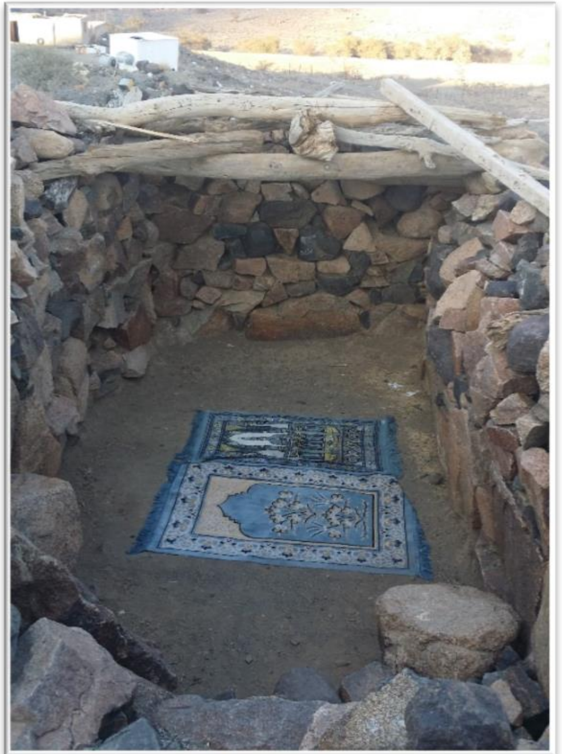
أضحت حليمة تزدهي بمفاخرٍ ... ما نالها في عصرها إثنان
منها الكفالة والرّضاع وصحبةٌ ... والغاية القصوى رضا الرحمن



صوره لآثار المسجد المنسوب لحليمة ، مجرد رضم من الحجاره بارتفاع قرابة نصف متر .



وهذا محراب المسجد المنسوب لحليمة .



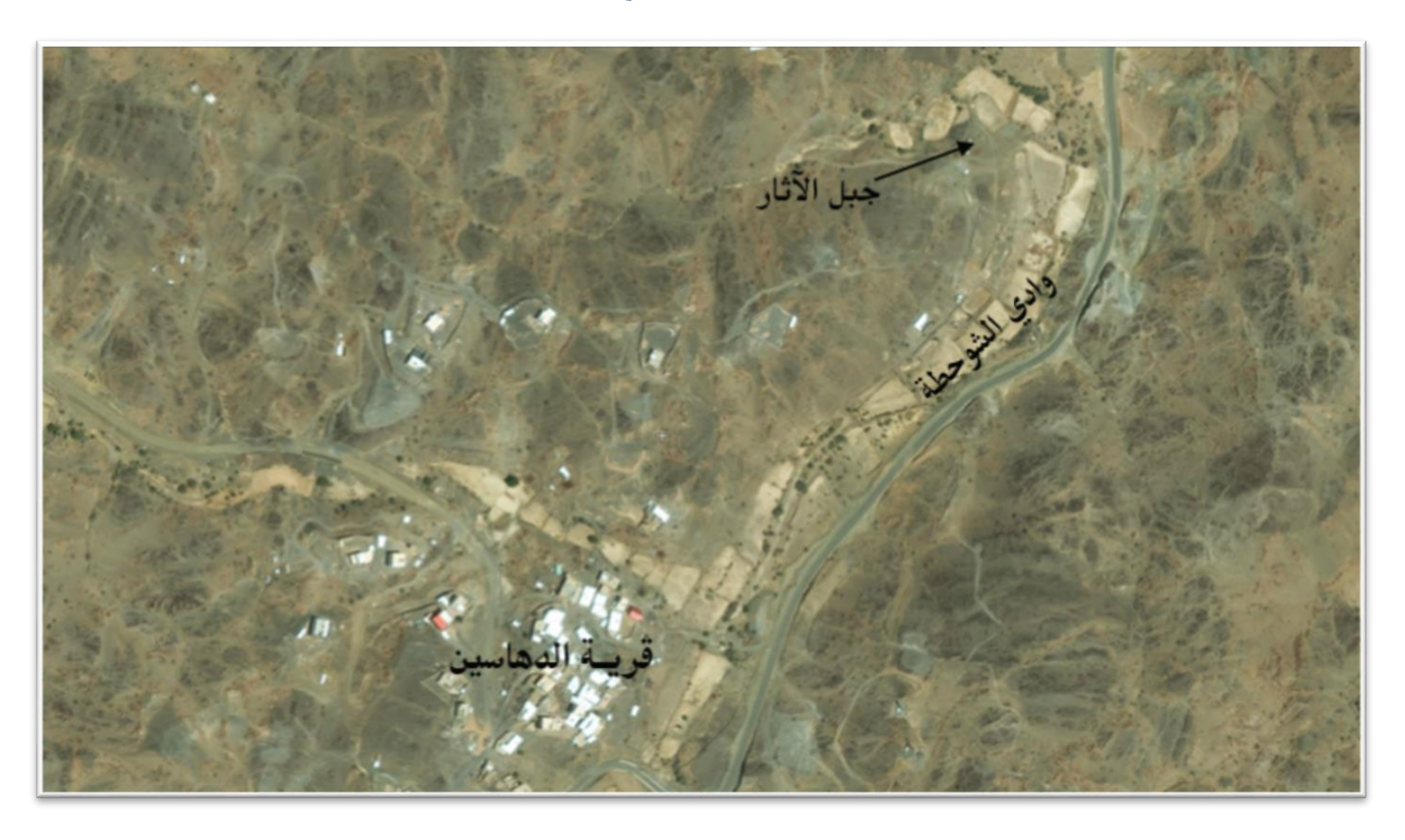


وهذه الخرائب هي البيوت المنسوبة لحليمة .





وفود الزوار يردون للموقع باستمرار



صورة فضائية من برنامج فلاش إيرث لموقع الآثار المنسوبة لحليمة ، وتظهر قرية الدهاسين ، ووادي الشوحطة ، والجبل الذي عليه الخرائب .



صورة من برنامج خرائط قوقل ، لقياس المسافة من مكة إلى وادي الشوحطة جنوب الطائف ، وهي في حدود (200كم) تقريباً .

المبحث الثاني : الأدلة على أنه لم يكن لبني سعد بن بكر ديار أو سراة جنوب الطائف :

المقصود من هذا المبحث هو إثبات أنه في القرون الأولى لم يكن لبني سعد بن بكر أي موضع في السروات جنوب الطائف ، سواء في المواضع التي يحل فيها بنو سعد في الوقت الحاضر أو في مواضع غيرها ، ثم إثبات أن هذه السروات والجبال جنوب الطائف ـ التي يحلها بنو سعد الآن ـ لم تكن لبني سعد بن بكر زمن البعثة ، وخلال الثلاثة القرون الأولى من الإسلام على أقل تقدير ، بل كانت لقبائل أخرى غيرهم ، وإذ لم يكن لهم سراة ، ولم تكن هذه المواضع والسروات التي يحلونها الآن لهم في ذلك الوقت ، فكيف يقال إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يسترضع هنا ؟

وسيتم تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب ، يذكر المطلب الأول من هم سكان السراة جنوب الطائف في زمن البعثة والقرون الأولى من الهجرة ، ويذكر المطلب الثاني مواضع بعينها يسكنها بنو سعد الآن لم تكن قديماً لبني سعد بن بكر بل كانت لقبائل غيرهم ، أما المطلب الثالث فقد خُصص لإلقاء نظرة سريعة وموجزة لمعرفة متى ظهرت قبيلة بني سعد المعروفة الآن في السراة جنوب الطائف ؟

المطلب الأول : تحديد سكان السروات جنوب الطائف في ذلك الوقت .

المطلب الثاني : تحديد مواضع بعينها يسكنها بنو سعد الآن لم تكن قديماً لبني سعد بن بكر.

المطلب الثالث : ظهور بني سعد القبيلة المعروفة الآن في السراة جنوب الطائف .

وبيان هذه المطالب على النحو الآتي :

المطلب الأول : تحديد سكان السروات جنوب الطائف في ذلك الوقت :

جميع النصوص التي ذكرت السروات جنوب الطائف القريب وسكانها ، حصرتهم في خمس قبائل ، وفي خمس سروات ـ بالإضافة إلى سراة هذيل غرب الطائف ـ وهذه السروات جنوب الطائف هي : (سراة ثقيف ، وسراة عدوان ، وسراة فهم ، وسراة بني شبابة ، وسراة بني علي) ثم تأتي سروات بجيلة ودوس وغامد ... ولم يرد أي نص يذكر أي سراة جنوب الطائف لبني سعد بن بكر خلال هذه القرون الأولى للإسلام ، ومن هذه النصوص :

1/ نقل ياقوت والبكري عن الأصمعي عند حديثه عن السروات : " سراة ثقيف ، ثم سراة فهم وعدوان ، ثم سراة الأزد " [1] فأشار إلى أن سراة فهم وعدوان تقع مباشرة بعد سراة ثقيف جنوباً ، وهي المواضع التي يحلها بنو سعد الآن .

2/ عند ذكر الهمداني للسروات جنوب الطائف قال مرتباً لها من الجنوب للشمال : " ثم سراة بجيلة ... ثم سراة بني شبابه وعدوان ، وغورهم الليث ومركوب فيلملم ، ونجدهم فيه عدوان مما يصلى مُطار ، ثم سراة الطائف " [2] . فذكر أن السروات التي تقع بين الطائف وبجيلة (وهم بنو مالك الآن) هي : سراة بني شبابة وسراة عدوان . وذكر أن غور بني شبابة وعدوان أي : تهامة مما يلي سراتهم ، هو : الليث ومركوب ثم يلملم ، والليث هو غور سراة بني سعد الآن ، مما يدل على أن هذه السراة التي هم فيها الآن لم تكن لبني سعد بن بكر سابقاً ، بل هي لبني شبابة وعدوان ، وأيضاً لفهم كما جاء في النص السابق ، وكما سيأتي في النص اللاحق .

3/ وذكر الهمداني السروات جنوب الطائف في نص آخر فقال بعد أن ذكر الطائف : " ومن يماني الطائف واد يقال له جفن لثقيف ، وهو بين الطائف وبين معدن البرام ... ثم يتلو معدن البرام ومُطار صاعداً إلى اليمن ، سراة بني علي وفهم ثم سراة بجيلة والأزد " [3] . فلم يشر إلى وجود سراة لبني سعد بن بكر ما بين المعدن وبجيلة ، أي في الديار التي فيها بنو سعد الآن ، بل تكرر ذكر القبائل السابقة ، وهم هنا : (بنو فهم ، وبنو علي) .

وهذه النقول السابقة عن سكان السروات جنوب مدينة الطائف ـ وغيرها كثير مما لم أذكره ـ تفيد أمرين رئيسين في موضوعنا ، وهما :

الأمر الأول : أنه لا يوجد جنوب الطائف وبدلالة هذه النصوص سراة لبني سعد بن بكر ، وذلك خلال ذلك الزمن الذي أُلّفت فيه هذه الكتب ، ونقلت فيه هذه الأقوال ، اعتماداً على

---

(1) معجم البلدان : 205،204/3 ، معجم ما استعجم : 15/1 .
(2) صفة جزيرة العرب : 120،119 .
(3) المصدر نفسه : 260 .

مشاهدات أصحابها ورحلاتهم ، أو بالنقل عن الثقة . وهذا يدل على أن بني سعد بن بكر لم يكونوا هناك خلال هذا الزمن ، ولو كانوا هناك لوجد من يشير لوجودهم ، ولو من خلال نص واحدٍ من بين عشرات النصوص التي ذكرت غيرهم ، فقبيلة بني سعد بن بكر قبيلة كبيرة ومشهورة ، غير منكورة أو مجهولة ، ولو كانوا هنالك ذلك الزمن لوجدنا ذكرهم يتكرر في أكثر من موضع من هذه الديار .

الأمر الثاني : أن هذه النصوص ونحوها تفيد أن هناك اتفاقاً على أن سكان السراة ـ التي يسكنها بنو سعد الآن ـ وما هو قريب منها جنوباً ، هم : (عدوان ، وفهم ، وبنو شبابة ، وبنو علي) ولا أعرف نصاً ذكر في هذه المواضع في ذلك الزمن غير هذه القبائل [1] مما يدل على أن ديار بني سعد بن بكر التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن هذه الديار .

([1]) ذكر المقدسي في أحسن التقاسيم (204/1) السروات فقال : " ثم في بجيلة ، ثم في فهم ، ثم في بنى عاصم ، ثم في عدوان " فأورد بني عاصم بين فهم وعدوان ، ولم أعرف من هم بنو عاصم هنا ، ومعلوم أن فهماً مجاورة لعدوان في الديار ، فلعل بني عاصم فرع من إحداهما . وسيأتي في المطلب التالي ذكر لوجود قريش وثقيف في المعدن ، مع بيان سبب وجودهم هناك .

المطلب الثاني : تحديد مواضع بعينها يسكنها بنو سعد الآن لم تكن قديماً لبني سعد بن بكر :

ذكرت في الفقرة السابقة من هم سكان السروات جنوب الطائف القريب ، وفي حدود سراة بني سعد الآن أو قريب منها ، حيث انحصروا في أربع قبائل ليس منهم بنو سعد بن بكر ، وهنا سأورد جملة من النصوص على مواضع معينة من ديار بني سعد الآن ، ويتضح منها أن هذه المواضع ليست لبني سعد بن بكر في زمن البعثة ، أو القرون الأولى من الهجرة ، بل هي لقبيلة أخرى من إحدى القبائل التي سبق ذكرها هنا ، ومن هذه النصوص :

أولاً : أول ديار بني سعد الآن من جهة الطائف هي (المعادن) وما حولها ، وهذه الديار لم تكن لبني سعد بن بكر قديماً ، فقد أورد الهمداني نصاً ذكر فيه أن معدن البُرام لثقيف وقريش ، قال : " ومن يماني الطائف واد يقال له جفن لثقيف [1] ، وهو بين الطائف وبين معدن البُرام . ويسكن معدن البرام قريش وثقيف " [2].

ومعدن البُرام هو ما يعرف الآن بالمعدن أو المعادن ، وفيه جبل رباح الشهير (الجبل الأخضر) ، وهو معدن حجر البرم المشهور (الحجر الصابوني) ، وذكره الحربي بقوله : " معدن البرام ، وهي مدينة كبيرة ، بها منبر ، وهو الموضع الذي تعمل فيه البرام ، تنحت من جبل عظيم " [3] .

وذكر الهمداني أن سكان المعدن ثقيف وقريش ، ووجود ثقيف مقبول ؛ لأنهم موجودون بجواره في لية وجفن ، أما وجود قريش ، فالغالب أنه حصل في زمن متأخر ؛ لأن هذه الديار لم تكن لهم ، بل الغالب أن قريشاً وثقيفاً جاءوا لاستغلال المعدن ، وليسوا أهله في الأصل بل أهله عدوان ، حيث وردت نصوص أخرى تذكر أنه من ديار عدوان ، فمن ذلك ما أورده ياقوت في معجم البلدان قال : " والطائف من سراة بني ثقيف وهو أدنى السروات إلى مكة ، ومعدن البرم هو السراة الثانية ، وهو في بلاد عدوان " [4] .وذكر ابن حزم أن المعدن لعدوان وبني عمومتهم قبيلة فهم ، فقال : " وأرض عدوان وفهم على مقطع البرام بقرب مكة ..."[5] .

فهذه النصوص تفيد أن المعادن لم تكن لبني سعد بن بكر في ذلك الوقت ، سواء أقلنا هي لعدوان خاصة ـ وهو الراجح ـ أم قلنا إنها لهم وللقبائل الأخرى المذكورة في النصوص

([1]) وادي جفن أكبر روافد وادي لية ، يجمع مياه أودية ثمالة جميعها ، ثم مياه أودية بني سالم جميعها ، ثم يصب في لية .
(2) صفة جزيرة العرب : 260 . وانظر : البلدان ، لابن الفقيه : 90 .
([3]) المناسك : 654 . والجبل معروف الآن ، وبه آثار تعدين واضحة ، وقرية كبيرة مندثرة ، وبقايا مسجد كبير .
(4) معجم البلدان : 3 : 205 .
(5) جمهرة أنساب العرب : 156 . مع ملاحظة أن الموقع ليس قريباً من مكة .

المتقدمة ، فثقيف جيرانهم في الديار من الغرب ، وفهم أبناء عمومتهم وشركاؤهم وجيرانهم في الديار من الجنوب ، أما قريش فالغالب أنهم ـ إن وجدوا هناك ـ فقد قدموا لاستغلال المعدن .

ثانياً : ذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب أن الموضع (بقران) كان لعدوان ، قال : " أرض عدوان من السراة : يصاع ، والسوار ، وبطن قوت ، والنجار ، وبقران .

قال ذو الأصبع :

جلبنا الخيل من بقران قبّا .. تجوب الأرض فجاً بعد فج " [1] .

فهذا النص يفيد أن الموضع (بقران) المعروف في ديار بني سعد الآن ، والمجاور للمعادن جنوباً ، لم يكن لبني سعد بن بكر سابقاً ، بل هو لقبيلة عدوان ، وتقدم أن لعدوان أيضاً (المعادن) وهي بجوار بقران مباشرة .

ثالثاً : أرض عدوان كبيرة وواسعة ، تقدم منها (المعادن) و(بقران) وقد تقدم موضع (مطار) في نص الهمداني : " ثم يتلو معدن البرام ومُطار صاعداً إلى اليمن ، سراة بني علي وفهم ثم سراة بجيلة والأزد " [2] ، فقرن (مطار) مع معدن البرام ، وهذا يجعلها قريبة من ديار عدوان ، وإن كان الهمداني لم يحدد أهلها ، ونحوه ما جاء في كتاب الأماكن : " بضم الميم ، مُطار : قرية من قرى الطائف بينها وبين تبالة ليلتان قاله الكندي" [3] ، ونقل في لسان العرب عن أبي حنيفة : " ومُطار ومَطار : موضع ... قال أبو حنيفة: مطار واد فيما بين السراة وبين الطائف " [4] .

وقد جعلها ياقوت لبني نصر بن معاوية ، قال : " أجارد : واد ينحدر من السراة على قرية مطار لبني نصر " [5]. فجعل الوادي (أجارد) والقرية (مطار) لبني نصر . وهذا بخلاف ما جاء عند المقدسي من قوله : " ... ثم في مطار وبها معدن البرام " [6] فجعل معدن البرام في مطار ، والمعدن لعدوان كما تقدم .

---

(1) صفة جزيرة العرب : 263 . وذكره في معجم البلدان (1/ 471) وقال : من مخاليف الطائف ، ولم ينسبه لأحد .
(2) صفة جزيرة العرب : 260 .
(3) الأماكن : 847 .
(4) لسان العرب : 514/4 .
(5) معجم البلدان : 99/1 . ولم أعرف الوادي أجارد ، ولعله وادي سلامة حين يجتاز السر ، حيث يُدعى هناك وادي العائرة .
(6) أحسن التقاسيم : 104 .

كما ذكر البلدانيون دياراً أخرى لعدوان ، وقد تقدم في نص الهمداني السابق منها : (يصاع ، السوار ، بطن قوت ، النجار) ونص بعض شعرائهم على غيرها ، كقول ذي الأصبع [1] :

إن داري ب(بمرهبٍ) (فبصعرٍ) ... (فمعورٍ) (فوخدة) (فالمرار)

ولنا منزل(برقبة) لايُســــــــــــــــــــمع فيه تهاذي الأخبار

ثم (بالفرع) قد نزلنا قبيلاً ... دار صدقٍ قليلةِ الأقذار

ذات حرزٍ وعزةٍ ونجاةٍ ... وامتـــنـــاعٍ من جحفل جرار

ومن شعر ذي الأصبع أيضاً [2] :

عذير الحي من عدوا ... ن كانوا حية الأرضِ

بغى بعضٌ على بعضٍ ... فلم يبقوا على بعضِ

لهم كانوا (أعالي الأرض) ... (فالسرِّان) (فالعرض)

وللأسف فإن أغلب هذه المواضع لم يعد معروفاً الآن ، إلا أن منها (صُعر) قال عنها البلادي : " هضبة بطرف السر الشمالي من جلدان " [3] . ومنها (السرِّان) تثنية (سر) ولم يحددها أحد ، لكن يوجد موضع اسمه (السر) معروف الآن جنوب الطائف ، ووجوده في بلاد عدوان ظاهر جداً ، فالمعادن وبقران وصعر تحيط به ، والقول بأنه كان لعدوان لا يستغرب ، بل هو الأقرب .

وورد في هذه الأبيات أن لعدوان سراة مرتفعة ، كقوله : (الفرع) وقوله : (أعالي الأرض) والديار التي يطلق عليها الفرع الآن كثيرة ، وخصوصاً في ديار ربيع وبني زائد المجاورة لبقران ، ومنها (فرعة ربيع) و(فراع ربيع) و (فرعة بني زائد) مما يؤيد أن عدوان كانت هناك ، وأن لها مشاركة أيضاً في أجزاء من السراة بعد بقران ، وأورد أبو علي الهَجَري في كتابه التعليقات والنوادر ، أن من بطون عدوان (بني زائد ، وبني عُلقة) ، قال : " في قبائل عدوان : بنو زائد ، وبنو وهدان ، وبنو عُلقة ، وهو العُلقي " [4] . ويوجد في سراة بني سعد الآن حول هذه المواضع وبقربها قبيلة (بنو زائد) وقبيلة (العلقي) وهم متجاورون وتحدهم (بقران) من الغرب ، مما يقوي القول بأنهم ممن بقي من عدوان

---

(1) صفة جزيرة العرب : 263 .
(2) الأغاني : 107/3 .
(3) معجم معالم الحجاز : 141/5 .
(4) التعليقات والنوادر : 1819 .

في المنطقة ، وقد يكون وادي (علَق) وهو واد صغير يدفع في أعالي وادي الليث ، جنوب غرب بقران ، قد يكون منسوباً إلى هذه القبيلة .

أما (رقبة) الواردة في الأبيات فالغالب أنها (رَقْيَة) بالياء وليس الباء ، وهو واد كبير ينحدر من جبل جودى ، ويصب في أعالي وادي الليث إلى الغرب من علق . ووادي رقية لم أجد له ذكراً في كتب البلدان ، ووجدت له إشارة مفردة عند الهجري في أبيات رواها ، منها :

نظرت إلى برقٍ يمان فشاقَني ... وخلّيت دمع العين يجري بديرها

تهَلّل في أشراف رقْيَةَ وبلُه ... فَجَلّلَ جُودى ذو غزال يميرها

قال الهجري : رقْيَةُ " من أرضِ فَهم من دون الليث " [1] . وفهم وعدوان أبناء عم ويشتركون في المواضع كما تقدم ، واحتمال اشتراكهم في (رقية) وارد ، وذكر البكري أن هذيلاً تتصل بفهم وعدوان في الجبال ونصه : " وجيران هذيل فى جبالهم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان " [2] . فهذا يفيد أن جبال هذيل غرب الطائف وجنوبه الغربي تتصل بجبال فهم وعدوان من هذه الجهة .

رابعاً : قال ياقوت عند رسم (بسل) : " واد من أودية الطائف أعلاه لفهم وأسفله لنصر بن معاوية " [3] وقال الأصفهاني : " بسل أعلاه لفهم وأسفله لنصر " [4] فهذان النصان يفيدان أن أعلى بسل ، أي : أعاليه من جهة السراة ، هو لقبيلة فهم ، وهم أبناء عمومة عدوان وشركاؤهم في سراتهم ، ومعلوم أن وادي بسل يكاد يحتلب أغلب مياه سراة بني سعد الآن . مما يعني أن هذه الديار (أعالي بسل) لم تكن لبني سعد بن بكر قديماً ، بل هي لفهم .

والقسم الأكبر من منازل فهم في تهامة ، فلهم من الأودية المجاورة للسراة والتي تسكنها قبائل من بني سعد الآن : وادي (رقيَة) كما تقدم ، ومثله يقال أيضاً في شأن جبل (جودى) الشهير ، فهما متجاوران ، ومثله وادي (ذو حماط) القريب منهما [5] فعند السكري : " خرجت غازية من بني قريم يريدون فهماً ، حتى أصبحوا على ماء يقال له ذو حماط .. " [6] وأيضاً وادي (عورش) وهو يسيل في أعالي وادي الليث بين وادي (علق)

---

(1) التعليقات والنوادر : 1477 .
(2) معجم ما استعجم : 1/ 88 .
(3) معجم البلدان : 1/ 423 .
(4) بلاد العرب : 30 .
(5) انظر : معجم البلدان : 2/ 298 .
(6) شرح أشعار الهذليين : 791/2.

ووادي (رقية) السابق ذكرهما ، وقد ورد ذكره في شعر عمرو ذي الكلب الهذلي ، يهدد فهماً ، ويقول [1] :

فلست لحاصنٍ إن لم تروني ... ببطن ضريحة ذات النجال

وأمي قينةٌ إن لم تروني ... بعورش وسط عرعرها الطوال

ووادي عورش هو أحد فرعي أعالي وادي الليث ، وهو يقدم من الغرب ، والفرع الآخر هو وادي (الجوف) القادم من الشرق ، وهو من أودية بني سعد الغورية الآن ، وقد كان قديماً من أودية فهم ، فقد ذكر السكري خبر الشاعر عمرو ذي الكلب ، وفيه : " أنه خرج هو وإنسان معه ، حتى أتوا على صيره ، دار من فهم بالجوف .. " [2] .

فهذه المواضع جميعها ، التي تسكنها بنو سعد الآن (أعلى بسل ، الجوف ، عورش ، رقيَة ، جودى ، ذو حماط) لم تكن من ديار بني سعد بن بكر قديماً ، بل من ديار فهم ، وقد تشاركهم فيها عدوان .

أما الأودية الكبيرة بعد بسل نحو : (مظللة ، وشقصان ، وقيا) فأسافلها بلا شك هي من ديار هوازن ، كما أشار لهذا الهمداني [3] ، أما أعاليها في السراة فإنها ـ حسب ترتيب السروات المتقدم ـ من ديار فهم أو شبابة [4] .

خامساً : تأتي بعد سراة فهم سراة شبابة ، ولم أجد نصاً يذكر موضعاً بعينه لبني شبابة هؤلاء [5] ،عدا موضع (الحِداب) الذي أشار إليه الأصمعي في خبر سليمان بن عبد الملك ، حين أرسل لوالي الطائف يطلب منه عسلاً قائلاً : " انظر لي عسلاً من عسل الندغ والسِّحاء ، أخضر في السقاء ، أبيض في الإناء ، من حِداب بني شبابة " [6] .

وقد ذكرت عدة أقوال في تحديد شبابة هؤلاء ، منها :

---

[1] شرح أشعار الهذليين : 572/2 ، وانظر : معجم البلدان : 4 / 168 .
[2] شرح أشعارالهذليين : 854/2 . وفي التاج (4/ 1166) : " والصيرة : دار من بني فهم بن مالك بالجوف " .
[3] صفة جزيرة العرب : 486 .
[4] الأودية الكبيرة بعد قيا هي (ضراء) ولم أجد نصاً على من هم سكان أعاليه ، والغالب أنهم شبابة ، وبعد ضراء توجد أودية : (بوى , وشوقب ، وعردة) وهي جميعاً من ديار بجيلة . انظر : القاموس المحيط (1265/1) وفيه : " وبوى : كرمى : واد لبجيلة " أما شوقب فقد أنشد ياقوت (373/3) للشمردل البجلي الأحمسي :

وهل أهبطن الجزع من بطن شوقب ... وهل أسمعن من أهله صوت سامر

وفي كتاب الأمكنة والأزمنة والمياه (245) : " عردات : واد لبجيلة مسيرة نصف يوم ، أعلاه عقبة تهامة ، واسفله تربة" .

(5) انظر ما يأتي حين مناقشة نص الفاسي عن سكن أبي ذر الهروي في سراة بني شبابة : ص :28 .
(6) النبات ، لأبي حنيفة : 264 .

1/ ذكر أبو حنيفة الدينوري أنهم شبابة من فهم بن مالك من الأزد ، وليسوا من فهم عدوان حيث قال عن الحداب : " من جبال السراة ينزلها بنو شبابة من فهم بن مالك من الأزد ، وليسوا من فهم عدوان " [1]

فإن كان يقصد شبابة بن مالك بن فهم ، فهي بطن من قبيلة دوس ، وسراة قبيلة دوس تبعد كثيراً عن سراة شبابة التي نقصدها هنا ، وبين سراة دوس وسراة شبابة هذه ، يوجد سراة بني علي وسراة بجيلة . [2] إلا أن قوله عن الحداب : " وراء شيحاط ، وشيحاط من الطائف " [3] يدل على قرب هذه السراة من الطائف ، وشيحاط بعد الطائف على وادي جفن [4] ، وسراة دوس بعيدة جداً من هذا التحديد ، فإما أن يقال إن شبابة في هذه السراة ليسوا من مالك بن فهم من الأزد كما يذكر أبو حنيفة ، أو يقال إن ديار بني شبابة بن مالك بن فهم الأزدية منفصلة عن ديار بني عمومتهم في دوس ، وأن سراتهم تقع هنا بعد سراة فهم وعدوان [5] .

2/ ونقل ابن قتيبة في غريب الحديث ، عن أبي اليقظان أن شبابة المشهورة بالعسل هي شبابة من كنانة فقال : " قال أبو اليقظان : هم من كنانة من بني مالك بن كنانة ، ينزلون اليمن ينسب إليهم العسل ، فيقال : عسل شبابي " [6] ، وكذلك فعل البلاذري في أنساب الأشراف ، والأزهري في تهذيب اللغة [7] . فجعلهم من كنانة .

وكنانة قبيلة عريضة تسكن تهامة والساحل ، لكن البحث هنا عن شبابة القبيلة التي تسكن السراة ، ولا أعرف أن لكنانة دياراً في السراة . وقد ذكر الهمداني أن ديار بني سعد من كنانة إلى الجنوب من الليث ، فقال عند ذكره لسراة بجيلة : " فنجدها بنو المعترف وأصلهم من تميم ، وقال لي بعضهم : إنهم من عكل ، وغورها بنو سعد من كنانة ، ثم سراة بني شبابة وعدوان ، وغورهم الليث " [8] . وقال البكري عن السراة : " فصار ما خلف هذا الجبل فى غربيّه إلى أسياف البحر، من بلاد الاشعريّين وعكّ وكنانة ، إلى ذات عرق

---

(1) المصدر نفسه .

(2) قال الشيخ حمد الجاسر (في سراة غامد وزهران : 464) : " وأخشى أن يكون أراد شبابة بن مالك بن فهم ، فحصل تقديم وتأخير بين الاسمين " .

(3) النبات : 264 .

(4) معجم معالم الحجاز : 5 / 115 .

(5) مع ملاحظة أن الكلبي ذكر أن مالك بن فهم بن غنم بن دوس في عمان وليس في السراة ، حيث قال في (نسب معد واليمن الكبير : 2/ 488) : " فولد فهم بن غنم : مالكاً ، وهم بعمان ؛ وسليماً وطريفاً ، وهما بالحجاز ، فولد مالك بن فهم بن غنم: نوىً، وولده بعمان ، وجذيمة الأبرش الملك الذي قتله الزَّبَّاءُ ، وعوفاً ، وجهضماً ، وسليمة بطن ، ومعناً بطن ؛ وهناءة بطن ، والحارث ، وشبابة ، وعمراً ، وثعلبةً ، وهو في تنوخٍ " . وعبارة ابن حزم عن ذرية مالك بن فهم (جمهرة أنساب العرب : 379) : " وأكثرهم بعمان " أما شبابة بن مالك خاصةً فقال (ص : 380) : " وولد شبابة بن مالك بن فهم ، هم بالبصرة والسّراة " وانظر : الاشتقاق لابن دريد : (ص : 497) .

(6) غريب الحديث : 3 / 763 .

(7) انظر : أنساب الأشراف : 145/11 ، تهذيب اللغة : 198/11 .

(8) صفة جزيرة العرب : 71 .

والجحفة وما والاها وصاقبها وغار من أرضها ، الغور غور تهامة ، وتهامة تجمع ذلك كلّه " [1] ، فجعل كنانة في تهامة والغور مع الأشعريين وعك .

3/ ومعلوم أن من قبائل شبابة قبيلة منسوبة إلى فهم ، وفي خبر الشنفرى الشاعر الصعلوك عند الأصفهاني قال : " الشنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث ، أسرته بنو شبابة بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان " [2] ، وقد تكون هذه السراة منسوبة إليهم ؛ لقربهم الشديد منها ، فهي مجاورة لديارهم التي تحددت سابقاً ، وأيضاً هم مشهورون بالعسل ، بدليل ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : " أن شبابة بطن من فهم كانوا يؤدون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحل كان لهم العُشُر ، من كل عَشْر قرب قربة ، وكان يحمي واديين لهم ، فلما كان عمر رضي الله عنه استعمل على ما هناك سفيان بن عبد الله الثقفي ، فأبوا أن يؤدوا اليه شيئاً وقالوا : إنما كنا نؤديه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكتب سفيان الى عمر رضي الله عنه بذلك ، فكتب اليه عمر رضي الله عنه : إنما النحل ذباب غيث ، يسوقه الله عز وجل رزقاً إلى من يشاء من عباده ، فإن أدوا إليك ما كانوا يؤدون إلى رسول الله فاحم لهم أوديتهم ، وإلا فخل بينه وبين الناس ، فأدوا إليه ما كانوا يؤدون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمى لهم أوديتهم " [3] . فالنص يشير إلى أن شبابة بن فهم مشهورون بالعسل أيضاً لذا قد تكون هذه السراة منسوبة لهم .

وعليه فشبابة هنا قد يكونوا من الأزد ، وقد يكونوا من فهم ، بل قد يكون المقصود الاثنين معاً ، وأنهما قبيلتان متجاورتان مشتهرتان بالعسل ، يدل على هذا أمران :

1 / ما ورد في شعر أبي الجيّاش الحجْرِي ، حيث ذكر(الشبابات) بلفظ الجمع ، وذكرهما معاً ، مما يدل على وجود أكثر من شبابة ، في مواضع متجاورة ، يقول [4] :

فالذرى من سراة غامد فالنمـــــــــــر فأجبال دوسها ضحيـــاء

فقرى الدارتين أرض علـــي سهلها والجبال منها الماء

فالشـــبابات فالمعادن فالطائـــــــــف فالويل أرضهن سمــاء

فالشاعر هنا ذكر السروات جنوب الطائف مرتبة متعاقبة ، وهي حسب ترتيبه من الشمال للجنوب : (الطائف ، المعادن ، الشبابات ، أرض علي ، دوس ، النمر ، غامد)

---

(1) معجم ما استعجم : 1/ 9 .

(2) الأغاني : 185/10 . وانظر : شرح الحماسة للتبريزي : 188/1 .

(3) سنن أبي داود : 503/1 ، وقال الألباني : حسن ، انظر : صحيح أبي داود : 1/ 302 ، وانظر صحيح ابن خزيمة : 45/4 . وقال الأعظمي : إسناده صحيح .

(4) صفة جزيرة العرب : 382 .

وهو قد أورد موضع (الشبابات) بلفظ الجمع ، وهو يدل على وجود أكثر من شبابة في هذا الموضع ، والمعروف هنا اثنتان وهما (شبابة فهم ، وشبابة الأزد) وجمْعُ الشاعر لهما معاً يدل على اتحاد موضعهما أو تقاربه. وهذا الموضع ـ حسب ترتيبه ـ يأتي بعد (المعادن) ودون (أرض علي) ، فهذه مواضع شبابة فهم ، وكذا شبابة الأزد [1] .

2 / أن لفظ (حِداب) الوارد في النص المتقدم جمع حدب ، وهو يدل على وجود أكثر من حدب ، ويوجد في ديار فهم التي سبق تحديدها في أعالي بسل ، موضع اسمه (الحدباء) [2] كما يوجد موضع بعد ديار فهم مباشرة اسمه (الحدب) وهو الآن في ديار بني الحارث ، ولعل النص يشمل الموضعين معاً ؛ لأنه ورد بلفظ الجمع (حِداب) ؛ ولأن كلاً منهما مشهور بالعسل حتى الآن .

وكما اختلف في تحديد نسب قبيلة شبابة هذه ، اختلف أيضاً في تحديد موضع سراة شبابة ، بما فيها موضع (الحداب) ، فجعلها ابن قتيبة وغيره من الطائف ، يقول ابن قتيبة : " وبنو شبابة قوم بالطائف " [3] ، ومثله قول الزمخشري من سجعاته في الأساس : " وتقول : كان عصر شبابي ، أحلى من العسل الشبابي ؛ منسوب إلى بني شبابة من أهل الطائف " [4] ، والمقصود أنها من نواحي الطائف وقريبة منه ، وليست من الطائف المدينة . وأبعد من هذا قول السمعاني عن سراة شبابة بأنها : من نواحي مكة [5] .

أما أبو حنيفة فقد حددها بأنها : " وراء شيحاط ، وشيحاط من الطائف " [6] . و (شيحاط) موضع معروف الآن جنوب الطائف ، أسفل وادي جفن [7] وهو يبعد قليلاً عن ديار شبابة ، ولا يفيد كثيراً في تحديد الموضع ، والأولى أن يقال إن ديار شبابة تشمل جميع (الحداب) التي سبق ذكرها : حداب شبابة فهم (الحدباء) وحداب شبابة الأزد (الحدب) .

وخلاصة القول هي أن هذه السراة التي فيها هذه الحداب لقبيلة شبابة ، وليست لقبيلة بني سعد بن بكر ، سواء أقلنا هم شبابة فهم ، أم شبابة الأزد ، أم شبابة كنانة ، فهذا لا يغير من الدلالة المقصودة شيئاً .

---

[1] أما شبابة كنانة فالغالب أنها لا وجود لها في السراة هنا . وفي أخبار مكة للفاكهي (204/3) : " حدثنا أحمد بن حميد الأنصاري، عن الأصمعي ، قال : حدثنا أمير الطائف وكان يكنى أبا محمد ، وكان من قريش، قال : جاء كتاب هشام بن عبد الملك إلى أمير الطائف : سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فأرسل إلي بعسل أخضر في وعاء أبيض في الإناء ، من عسل (الندغ) و(السحاء) من نحل بني شبابة . قال الأصمعي : وبنو شبابة حي من عدوان ينزلون فوق الطائف " فهذا النص جعل بني شبابة من عدوان ، فهل يقصد قبيلة فهم ، أو أن في عدوان قبيلة اسمها شبابة أيضاً ؟

[2] في المعجم الجغرافي لمحافظة الطائف ، للسالمي (331/) : " الحدباء : سلسلة جبلية مرتفعة من أعلى وادي فليحة ، مما يلي الجوف ، في بلاد ربيع ، في ديار بني سعد "

[3] غريب الحديث : 3/ 763 .

[4] أساس البلاغة : 490 .

[5] الأنساب : 3 / 395 .

[6] النبات : 264 .

[7] معجم معالم الحجاز : 5/ 115 .

سادساً : وتأتي بعد سراة شبابة (سراة بني علي) ولم أعثر على نص يذكر من هم بنو علي ؟ أو يحدد موضعاً لهم بعينه ، سوى ما ورد في أبيات أبي الجيّاش الحجْري الأزدي السابقة ، حيث نسب إليهم من المواضع (قرى الدارتين) والتي لم أجد أيضاً من يحددها ويبين موقعها .

وقد يظن أنها من أرض بجيلة ، حيث نجد من فخوذ قبيلة بني مالك جنوب الطائف الأن (وهم من قبيلة بجيلة) فخذ بني علي ، ويتألف هذا الفخذ من عدة قبائل [1] ، وأيضاً نجد من قرى بني مالك قرية (الدارين) في وادي عردة الشهير ، لكن الروايات السابقة غايرت بين سراة بجيلة وسراة بني علي ، وهذا يدل على تغاير القبيلتين ، وأن أرض علي غير أرض بجيلة .

وفي ترعة ثقيف توجد قرية قديمة اسمها قرية (الدارين) وفيها آثار وحصون وكتابات تدل على قدم هذه القرية ، ووصفها السالمي بقوله : " من كبريات قرى ثقيف ، يتبعها قرى صغيرة حولها ... وهي تعد حاضرة بلاد ثقيف " [2] وهذه القرية أقرب إلى أن تكون هي قرية (الدارتين) المذكورة في سراة بني علي ؛ لوقوعها بين سراة بجيلة وسراة شبابة ، وهو الموقع الذي ذكره البلدانيون لسراة بني علي ولقرى الدارتين ، فالغالب أن تكون هي أو قرية أخرى قريبة منها ، وسواء أقلنا إن قرية الدارتين هي هذه أم أخرى قريبة منها ، فهي بعيدة من ديار بني سعد الآن .

سابعاً : نستطيع أن نرتب السروات جنوب الطائف ؛ بناء على هذه النصوص المتقدمة مع إضافة سراة هذيل ، وسراة ثقيف ، على النحو التالي : (سراة هذيل) في جبالهم التي ما زالوا فيها حتى الآن غرب الطائف وجنوبه الغربي، ثم (سراة ثقيف) في الطائف وما جاورها ، ثم (سراة عدوان) في المعادن وبقران والسر وما جاورها ، ثم (سراة فهم) في أعالي وادي بسل وما حوله ، ثم (سراة بني شبابة) وهي بعد سراة فهم ، ثم سراة (بني علي) .

ثامناً : ذكر البلادي أن سراة قبيلة بني سعد في الوقت الحاضر ، هي ما كان يعرف قديماً بسراة شبابة أو تجاورها [3] .

قلت : هم في سراة قبيلتي عدوان وفهم على سبيل التأكيد ، فالمواضع التي ذكرت سابقاً جميعها في ديار فهم وعدوان : (المعدن ، بقران ، السر ، صعر ، أعلى بسل ، الفرع ، الجوف ، عورش ، رقية ذو حماط ..) أما سراة بني شبابة ، فإن كان المقصود بها شبابة

---

[1] انظر : معجم قبائل المملكة العربية السعودية للجاسر : 551 .

[2] المعجم الجغرافي لمحافظة الطائف : 1/ 467 . والمقصود هنا : ثقيف ترعة ، الذين انتقلوا إلى جنوب الطائف ، وليس ثقيف الطائف .

(3) معجم قبائل الحجاز : 2/ 205 .

فهم فنعم ، أما شبابة الأزد فالظاهر أن ديارها تمتد إلى أبعد من ديار بني سعد الآن ، وأنها تشمل سراة قبيلة بني الحارث الآن ، بما فيها ميسان أو أعلاه ، أو موضع (الحدب) من سراة بني الحارث على أقل تقدير [1] .

تاسعاً : تم التركيز في هذا الفصل على دراسة ديار قبيلة بني سعد الآن التي فيها سراة بني سعد المنسوبة إليهم ، وما حولها من مواضع ، ولم تبحث مجموع ديار بني سعد الآن ، فإن ديارهم الآن أوسع من سراتهم ، وهي تمتد شرق السراة إلى كلاخ ، والسديرة ، وجلدان ، وأسفل لية ، وأسفل الطائف ، وحول الطائف في وادي نخب ، والسيل الصغير ، وغيرها ، وغالب هذه الديار ـ ما عدا السراة ـ هي ديار بني نصر بن معاوية من هوازن ، كما سيأتي ذكره ، وبعض بني سعد الآن في السيل الكبير ، وهو من ديار بني سعد بن بكر كما سيأتي ؛ وإنما تم التركيز على سراة بني سعد الآن ؛ لأن الآثار المنسوبة لحليمة من بيوت ومسجد ، وكذا قبيلة الذويبات ، موجودة في ديار بني سعد في السراة .

---

(1) ذكر الشيخ حمد الجاسر سراة شبابة ، وقال : " هي سراة بني الحارث ، أو القسم الذي تحله قبيلة ناصرة منها ، ذلك أن ناصرة من بني عدوان " انظر : في سراة غامد وزهران : 463 . وسيأتي مزيد بحث عن ميسان في المطلب التالي .

المطلب الثالث : ظهور بني سعد القبيلة المعروفة الآن في أرض السراة جنوب الطائف :

تقدم نقل النصوص التي تثبت أنه لا يوجد سراة لبني سعد بن بكر جنوب الطائف ، في زمن البعثة والقرون الأولى من الهجرة على أقل تقدير ، ونقل النصوص التي تثبت أن سراة بني سعد في الوقت الحاضر كانت لقبائل معروفة ومحددة ، وليس منها بنو سعد بن بكر ، فإن قيل : فماذا بشأن بني سعد الذين يسكنون السراة جنوب الطائف الآن ، وكيف وجدوا ، ومتى وصلوا هنا ؟

قلت : بالرغم من أن جواب هذا السؤال ليس هدفاً لهذا البحث ـ كما تقدم ـ وبالرغم من عدم وجود نصوص صريحة حول هذه المسألة ، لكن لا بأس من ذكر بعض الاحتمالات الواردة ؛ والتي يمكن ـ بموجب ذكرها ـ أن تتناسق جوانب البحث ، وتترتب أفكاره ونتائجه ، فمن ذلك [1] :

أولاً : أن يقال إن بني سعد جنوب الطائف الآن هم غير بني سعد بن بكر ، وليس هناك من نص يثبت هذا الاحتمال ، إلا أن بني سعد كثيرون في العرب ، حتى قيل في المثل : في كل واد بنو سعد [2] . وقريب من هذا الموضع كان يوجد أكثر من قبيلة فيها بنو سعد ، فهناك بنو سعد من فهم ، وبنو سعد من عدوان [3] وبنو سعد من كنانة ، وبنو سعد من بجيلة . وهذا الاحتمال وجد من قال به ، إلا أن كثيراً من أفراد القبيلة الآن ينكره بشدة ، وهم ـ بلا شك ـ أدرى بأنسابهم .

ثانياً : ولعل الأقرب إلى القبول أن يقال إن قبيلة بني سعد بن بكر قد زحفت من موطنها المعروف شمال الطائف ـ كما سيأتي بيانه ـ حتى استولت على هذه السروات في قرون

([1]) ذكر القلقشندي في كتابه نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (ص: 220) أن بني سعد بن بكر هاجروا من ديارهم ، ولم يبق لهم ذكر ، ونصه : " وقد افترق بنو سعد هؤلاء في الإسلام ولم يبق لهم حي فيطرق ، إلا أن بأفريقية من بلاد المغرب فرقة بنواحي باجة ، يعسكرون مع جند السلطان " ، وكرر هذا القول في صبح الأعشى (393/1) ونسبه لابن خلدون ، قال : " قال في العبر: وقد افترق بنو سعد هؤلاء في الإسلام ولم يبق لهم حيّ فيطرق " ولم أعثر على هذا النص في العبر ، لكن هذا القول لا يصح على إطلاقه ، فمن المعلوم أن نسبة كبيرة من القبائل هاجرت من جزيرة العرب منذ بدأت الفتوح الإسلامية ، وقد حصلت هجرة كبيرة لبعض قبائل هوازن في القرن الخامس وما بعده ، إلى مصر ثم أفريقية ، إلا أن أغلبها كان لبني هلال وجشم من هوازن ، ولقبيلة سليم ، ولاشك أن نسبة كبيرة من بني سعد كانت معهم ، إلا أن الجزيرة العربية لم تخل من قبائلها عبر القرون ، ومنهم قبيلة بني سعد بن بكر ، وفي الوقت الحاضر ما زال طائفة من قبيلة الثبتة ، وهي أغلب قبيلة بني سعد في الوقت الحاضر ـ تقيم في قرن المنازل (السيل الكبير) وما حوله ، وهو أحد ديار بني سعد بن بكر قديماً كما سيأتي بيانه .

([2]) أصل المثل يضرب لاستواء القوم في الشر والمكروه ، انظر : جمهرة الأمثال ، لأبي هلال العسكري : (1 / 61) وقد يستخدم هذا المثل لبيان كثرة القبائل التي تُدعى (بنو سعد) حيث عددهم في العرب كثير ، قال الأزهري في تهذيب اللغة : (2 / 45) : " والسعود في قبائل العرب كثير ، وأكثرها عدداً سعد بن زيد مناة بن تميم، ومنها بنو سعد بن بكر في قيس عيلان ، ومنها سعد هذيم في قضاعة . ومنها سعد العشيرة ... ". وقد أحصى كحالة في : (معجم قبائل العرب : 2/ 513 - 520) قرابة أربعين قبيلة بهذا الاسم .

([3]) انظر : التعليقات للهجري : 1787 .

متأخرة ، وهذا وارد جداً ، ومقبول عقلاً ، وإن كنا لم نجد نصوصاً تثبته ، كما لم نجد نصوصاً تنفيه أيضاً ، فلعله حصل في القرون المتأخرة ، حيث قل التدوين .

ويؤيده أن بني سعد الآن هم في سراة فهم وعدوان سابقاً ، وقد ظهر الضعف على فهم وعدوان منذ زمن متقدم ، بسبب الحروب بينهم ، والتي ذكرها شعراؤهم ، كما في أبيات ذي الأصبع المتقدمة [1] :

عذير الحي من عدوا ن كانوا حية الأرضِ

بغى بعضٌ على بعضٍ فلم يبقوا على بعضِ

ومثل قول ذي الأصبع أيضاً [2] :

فلَقبلُ ما رام الإله بكيدهِ ... إرماً وهذا الحي من عدوانِ

بعد الحكومةِ والفضيلةِ والنُهى ... طاف الزمان عليهمُ بأوانِ

وتفرقوا وتقطعت أشلاؤهم ... وتبددوا فِرقاً بكل مكانِ

وكقول أمامة بنت ذي الأصبع من القصيدة التي مطلعها [3] :

كم من فتى كانت له ميعةٌ ... أبلج مثل القمر الزاهرِ

ومنها :

لقد لقِيت فهمٌ وعدوانها ... قتلاً وهلْكاً آخر الغابرِ

يقول البكري : " ... ووقعت بين عدوان حرب ، فتفرّقت جماعتهم ، وتشتّت أمرهم ، فطمعت فيهم بنو عامر، وأخرجتهم من الطائف ، ونفوهم عنها ... " [4] . وفي كتاب أنساب الأشراف : " وكانت عدوان كثيرة السادة فبغى بعضهم فتحاربوا وتفرقوا " [5] .

ومن ثمّ ضعفت القبيلتان ، فتفرقت عدوان ، وانحاز باقيهم إلى شرق السراة ، إلى مواضعهم الحالية في شمال شرق الطائف ، في أسافل أودية لية والعرج وشرب ، ونقل ياقوت عن الزمخشري أن ركبة ـ شمال الطائف ـ كانت لعدوان في زمنه ، فقال : " وقال الزمخشري: هي مفازة على يومين من مكة ، يسكنها اليوم عدوان " [6] ، وهاجر بعضهم

---

(1) الأغاني : 3 /107 .
(2) الأغاني : 3/ 108 .
(3) الأغاني : 3/ 108 .
(4) معجم ما استعجم : 1/ 77 .
(5) أنساب الأشراف : 13 / 274 .
(6) معجم البلدان : 3 / 63 .

في قرون متأخرة مع هجرة بني هلال وسليم ، وأشار لهذا ابن خلدون بقوله عن قبيلة عدوان : " وبإفريقية لهذا العهد منهم أحياء بادية بالقفر ، يظعنون مع بني سليم تارة ، ومع رياح بن هلال بن عامر أخرى " [1] .

أما فهم فقد انحاز أغلبها إلى تهامة ، وحلّت هناك محل قبائل من هذيل ، وقد بدأ هذا منذ زمن متقدم [2] ، ومن ثَمّ يمكن القول إن هذا التفرق والضعف أوجد الفرصة لبقية القبائل أن تتقدم إلى ديارهم ، بما فيها بنو سعد بن بكر ، التي تقدمت إلى هذه المواضع من ديارهم .

وقد يكون بعض بني فهم وبني عدوان بقوا في ديارهم إلى زمن متأخر ، وقد تكون بعض قبائل بني سعد الآن هم من بقايا فهم وعدوان ، تحالفوا مع قبائل بني سعد ، وهذا يوجد بكثرة عند العرب ، وتقدمت الإشارة إلى نص أبي علي الهجري عن قبيلتي (بني زائد وبني علقه) وقوله إنهما من قبيلة عدوان [3] .

ثالثاً : ليس هناك من تأريخ يحدد ظهور بني سعد ـ المعروفين الآن ـ في جنوب الطائف ، إلا أننا إن قلنا إن بني سعد هؤلاء هم بنو سعد بن بكر وليسوا غيرهم ، فاليقين أنهم لم يكونوا هنا في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة ، فالهمداني المتوفى سنة (334هـ) ذكر أن قبائل فهم وعدوان كانوا في سراتهم في زمانه ، وهو يذكر ما يشاهده ؛ لأنه كان يتنقل بنفسه للحج من اليمن إلى مكة ، ويصف الطريق ، ويذكر البلدان والقبائل . والغالب أنهم لم يصلوا إلى هنا إلا في القرون المتأخرة .

وقد أورد الفاسي في ترجمتة لشيخ الحرم أبي ذر الهروي نصاً مشكلاً ، جاء فيه قوله : " ثم سكن أبو ذر الهروي عند العرب ، وتزوج عندهم بالسراة (سراة بني سياه) وهي سراة (بني سعد) بجهة بجيلة (بمجرى) وما حولها من بلاد (بني سعد) " [4] .

---

[1] تاريخ ابن خلدون : 2/ 364 . وكذلك قال في شأن فهم .

[2] يقول البلادي في كتاب معالم مكة التاريخية والأثرية (ص:114) : " وكانت فهم مع أخوتهم عدوان بنواحي الطائف حتى حدثت بينهم حروب أجلت فهماً ، فنزلت على بني صاهلة الهذليين، فلما تكاثرت أخذت تستولي على بعض ديار هذيل، وفي شعر هذيل تشكي من ذلك ، وهذا قيس بن العيزارة الهذلي يقول:

أرى حثناً أمسى ذليلاً كأنه ... تراثٌ وخلاه الصعاب الصعاتر

وكاد يوالينا ولسنا بأرضهم ... قبائل من فهم وأفصى وثابر "

[3] التعليقات والنوادر : 1819. وفي مؤتلف القبائل ومختلفها لابن حبيب (ص : 28) قال : " لهب في عدوان ، وهو الحارث بن عمرو بن قيس عيلان ، لهب محرك الهاء واللام ، ابن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان " . فهل قبيلة اللهوب من بني سعد الآن هم من بقايا عدوان أيضاً ؟ . وذهب الشيخ حمد الجاسر في كتابه : في سراة غامد وزهران (ص : 472) إلى إبطال ما ذكره ابن دريد من أن عدوان فنيت من الدهر الأول ، فقال : " فلا يزال لها بقية ثرية العدد في شمال الطائف ، وفي سراة زهران ، كما أن قبيلة ناصرة المعدودة الآن في بني الحارث والتي تسكن في سراة عدوان القديمة هي من عدوان .. " . وأبعد الشيخ محمد سعيد كمال حين ظن أن ناصرة في بني الحارث من بني سعد بن بكر بن هوازن (الطائف : ص 89) .

[4] العقد الثمين : 5 / 541 .

وقد ظن البعض أن بني سعد هنا هم بنو سعد بن بكر ، وأنهم وصلوا إلى هنا في هذا التاريخ (القرن الخامس الهجري) ولا أرى ذلك لأمور :

1 / أن قوله (بني سياه) هو خطأ من الناسخ والصواب هو بنو شبابة ، يؤيد هذا أن الفاسي نفسه ترجم لأبي جميع ابن أبي ذر هذا ، فقال : " ولد سنة خمس عشرة وأربعمائة بسراة بني شبابة ؛ لأن أباه كان هناك وأقام مدة " (1) ، وقال الذهبي : " تزوج أبو ذر في العرب في سروات بني شبابة ، وسكن هناك مدة " (2) .

وقال السمعاني في ترجمة ابن أبي ذر : " أبو جميع عيسى بن الحافظ أبي ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الهروي الشبابي ، حدث بهذا الموضع عن أبيه أبي ذر الحافظ " (3) ويقصد بالموضع سراة بني شبابة ، ونسب أبا جميع إلى شبابة القبيلة بحكم مولده فيهم ، أو إلى شبابة المكان والسراة المعروفة . وهو ما أشار إليه ياقوت الحموي في معجمه حيث قال : " سراة بني شبابة بفتح أوله وبعد الألف باء موحدة أخرى ، من نواحي مكة ، ينسب إليها أبو جميع عيسى بن الحافظ أبي ذر عبد الله بن أحمد الهروي الشبابي ، حدّث بهذا الموضع عن أبيه أبي ذر " (4)

2/ وإذا كان أبو ذر قد سكن سراة بني شبابة ، فكيف تكون سراة بني شبابة هي سراة بني سعد ؟ هذا غير واضح إلا أن يقال إنه يقصد بني شبابة ـ كما في أول النص ـ ولا يقصد بني سعد ، وهذا هو الراجح الغالب ، أو يقال إن بني سعد المذكورين هنا قد يكونوا من بطون بني شبابة ، أو يقال إن الفاسي يريد ذكر السراة في وقته ، ويقول إن سراة بني شبابة التي كان يسكنها أبو ذر في القرن الخامس الهجري هي سراة بني سعد الآن في عصر الفاسي ، أي في القرن الثامن أو التاسع .

3/ ولو قلنا إن كلمة (بني سعد) صحيحة ومقصودة ، فإن النص لم يحدد من هم بنو سعد هؤلاء ؟ فكيف نستطيع أن نجزم أنهم هم بنو سعد بن بكر وليسوا غيرهم !! وخصوصاً إذا علمنا أن الهروي كان في سراة بني شبابة ، وتقدم أنه يوجد هناك شبابة الأزد وشبابة فهم ، وأن من بطون فهم أيضاً بنو سعد بن فهم ، فالقول إنه كان في سراة شبابة عند بني سعد من شبابة فهم ، أولى وأقرب من القول بأنه كان في سراة شبابة عند بني سعد بن بكر !!

والأولى من هذا كله أن يقال إن النص مصحّف ، وأن الصحيح (سراة بني شبابة) ، بدليل التصحيف الحاصل في أوله (بني سياه) حيث تبين أنه (بني شبابة) وبدليل هذا

---

(1) العقد الثمين : 6 / 461 ، 462 .
(2) تاريخ الإسلام : 10/ 794 .
(3) الأنساب : 3 / 395 .
(4) معجم البلدان : 3 / 317 .

الإشكال في بني سعد ، وبدليل قوله بعدئذ (مجرى) وهي كلمة غير معروفة ولم يذكرها أحد ، والغالب أنها هي الأخرى كلمة مصحفة [1] .

رابعاً : وفي إفادة الأنام في حوادث سنة (1047 هـ) خبر غزو شريف مكة لبني سعد وغامد [2] ، دون تحديد من هم بنو سعد هؤلاء ، لكن أورد العصامي في حوادث عام (1080 هـ) خبر : " وفي هذا الشهر توجه مولانا السيد محمد بن زيد إلى قبيلة بني سعد ، في جمع يسير ، وهم في منعة وشاهق خطير " [3] ، فأشار إلى وجودهم في جبال عالية ، ثم أورد في حوادث عام (1081 هـ) قصة رجل اسمه عمير قتل في الطائف ، قال : " ثم إن أولاد عمير المذكور صاحوا في عشيرتهم وذويهم ، واستثاروهم على قتلة أبيهم ، فأتاهم بنو سعد وعتيبة وجمع من العربان .... فأخذ القوم ينهزمون إلى أن وصلوا عبّاسة ... " [4] .

فهذه النصوص ونحوها ورد فيها اسم قبيلة بني سعد ، ولاشك أنها قبيلة بني سعد المعروفة الآن جنوب الطائف ؛ لأنه ورد في بعضها موضعاً من ديارهم الآن (عبّاسة) [5] ، ووصفوا بأنهم في شاهق خطير ، مما يؤكد وجود بني سعد هؤلاء هنا في القرن الحادي عشر من الهجرة ، لكن لاشك أنهم وجدوا هنا قبل هذا التاريخ .

وقد أورد النجم ابن فهد في تاريخه نصاً في حوادث عام (848هـ) وفيه أن السيد بركات بن حسن بن عجلان ، سار بجيش نحو المشرق ، قال : " فوجد بمكان يقال له البوباة عرباً من بني سعد ، يقال لهم يمن ، فأخذ لهم خمسين بعيراً وعدة من الغنم " [6] . وهذا يدل على أن قبيلة تُدعى بنو سعد كانت موجودة في البوباة (البهيته) وذلك في القرن التاسع الهجري ، والغالب انهم بنو سعد بن بكر ؛ لأن البوباة ديارهم منذ الجاهلية ـ كما سيأتي ـ بل مازال بقية منهم فيها حتى الآن .

والخلاصة أنني لم أعثر على دليل صحيح صريح في تأريخ وصول بني سعد إلى جنوب الطائف ، إلا أن المؤكد أنهم لم يكونوا هنا في القرون الأولى من الهجرة ، والغالب

---

(1) ذ كر لي الأستاذ على بن حسن الحارثي ـ من أهل ميسان جنوب الطائف ـ ويعمل معلماً في مكة ، أنه سمع من كبار السن هناك ، أن ميسان وخصوصاً أعلاه كان يطلق عليه عند البعض اسم (مخرى) ثم فقد سماع هذا الاسم تدريجياً ، وذكر أن هذا قد يصحح نسبة التين (المخري) المشهور في قرى الطائف إلى هذا الوادي ؛ حيث لا يزال هذا الوادي حتى الآن يشتهر بزراعته ، ويجود بأحسنه ، وبالتالي يزول التصحيف من نص الفاسي ، ويصبح النص مفهوماً متناسقاً ، وأن أبا ذر الهروي سكن في سراة بني شبابه ، في مخرى أي : (ميسان) بجهة بجيلة .

(2) إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام : 408/3 .

(3) سمط النجوم العوالي : 514/4 .

(4) المصدر نفسه : 520/4 .

(5) عباسة قرية كبيرة قرب المعدن ، تقع عند التقاء وادي سلّامة مع وادي القملي ، وهي للثبتة من بني سعد ، وقد ذكرها الفيروز آبادي (817هـ) باسم العباسية ، ولم ينسبها لأحد ، بل قال : قرية قرب الطائف (القاموس المحيط :ص : 555) وانظر : (تاج العروس : 16 / 222) .

(6) اتحاف الورى : 4 / 227 .

أنهم وصلوا هنا في القرون المتأخرة ، لكن لا يمكن الجزم فيها على سبيل التحديد ؛ لعدم وجود النصوص .

وأخيراً فقد تلخص من هذا الفصل الأول بمبحثيه الأول والثاني ، أنه لم تكن لبني سعد بن بكر سراة أو أي موضع في السراة الواقعة جنوب الطائف ، وذلك في القرون الثلاثة الأولى على أقل تقدير ، وعليه يمكن أن يقال إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينشأ في هذه الديار ، وأن ما هو شائع لدى العامة من أن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ هنا ، مجرد شبهة لا يسندها دليل مقبول ، وأن هذه الآثار القائمة من مسجد ومنازل ونحوه لا علاقة لها بحليمة السعدية .

ويبقى أن يقال : أين ديار بني سعد بن بكر التي أسترضع ونشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم إذاً ؟ هذا ما سيجيب عنه الفصل التالي إن شاء الله .

الفصل الثاني : تحديد ديار بني سعد بن بكر ، التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم .

في هذا الفصل سيتم تحديد ديار بني سعد بن بكر على سبيل العموم ، وتحديد المواضع التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم من ديار بني سعد على سبيل الخصوص ، وذلك بعد جمع النصوص والأدلة التي تحدد هذه الديار ، وعليه فقد اشتمل هذا الفصل على المبحثين التاليين :

المبحث الأول : تحديد ديار بني سعد بن بكر في زمن البعثة ، على سبيل العموم .

المبحث الثاني : تحديد المواضع التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم من ديار بني سعد بن بكر .

المبحث الأول : تحديد ديار بني سعد بن بكر في زمن البعثة ، على سبيل العموم :

قبيلة بني سعد بن بكر هي أحد بطون قبيلة هوازن ، وهوازن إحدى أكبر قبائل العرب ، وبطونها كثيرة جداً ، وتحتل مساحة كبيرة من جزيرة العرب ، من قلب نجد حتى أطراف السراة ، ثم تمتد مسايفة للجبال إلى ما وراء بيشة ، وحين وصف الهمداني طريق الحاج اليمني الشرقي قال : " وكل هذه البلاد من تبالة إلى نخلة ديار هوازن ، فيها من كل بطونها " [1] **ومن يسكن من هوازن عالية نجد يدعون (عجُز هوازن) وهم أربع قبائل من هوازن : (بنو نصر بن معاوية ، وبنو جشم ، وبنو سعد بن بكر ، وثقيف)** [2] **.**

وهذا المبحث يتم تحديد موقع قبيلة بني سعد بن بكر ، وذلك بالنسبة للقبائل المجاورة لها ، وحصر ديارهم وحدودها بصفة إجمالية ، ثم يتم ذكر أسماء الديار التي جاءت النصوص بأنها تخص بني سعد بن بكر ، أو يشاركون فيها جيرانهم ، وذلك بتتبع جميع النصوص من كتب البلدان والسير والتأريخ والأدب وغيرها ، والتي جاء فيها النص على أسماء ديار بني سعد بن بكر . ثم يتم ذكر أسماء مواضع نسبت لبني سعد بن بكر ، والراجح أنها لم تكن لهم في زمن البعثة .

وعليه فقد جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب ، وهي :

المطلب الأول : موقع ديار بني سعد بن بكر ، وذكر جيرانهم .

المطلب الثاني : أسماء ديار بني سعد بن بكر زمن البعثة والقرون الأولى من الهجرة .

المطلب الثالث : ديار نسبت لبني سعد بن بكر ولم يثبت أنها لهم زمن البعثة .

---

(1) صفة جزيرة العرب : 436 .

(2) على اعتبار أن ثقيفاً من هوازن ، كما يذكر أهل النسب ، إلا أن العادة جرت أن تذكر قبيلة ثقيف مستقلة عن أصلها هوازن . وقد ذكر خليفة بن خياط في تاريخه أسماء ولاته صلى الله عليه وسلم ، فقال (ص : 99) : " وعلى عجز هوازن - جشم ونصر وثقيف وسعد بن بكر - عوف بن مالك النصري " . وفي إمتاع الأسماع (226/4) : " قال أبو حاتم : عجز هوازن : ثقيف ، وبنو سعد بن بكر ، وبنو جشم ، وبنو نصر بن معاوية "

المطلب الأول : موقع ديار بني سعد بن بكر ، وذكر جيرانهم :

نستطيع أن نقول إن ديار بني سعد بن بكر ، تقع إجمالاً شمال الطائف إلى شمالها الغربي ، وشرق مكة إلى شمالها الشرقي، وقد أشار لوجود بني سعد بن بكر شرق مكة في زمن متأخر ابن حوقل ، المتوفى سنة (367 هـ) بقوله : " والغالب على نواحي مكة مما يلي المشرق ، بنو هلال وبنو سعد " [1] ومثله قول الإدريسي (560 هـ) : " والغالب على نواحي مكة مما يلي المشرق بنو هلال وبنو سعد في قبائل من هذيل " [2] والمقصود ببني سعد هنا بنو سعد بن بكر ؛ بدليل ذكرهم مع بني هلال ، وهم بنو عمومتهم ، يؤيد هذا أيضاً قول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وقد علم بالنقل المتواتر أن محمداً ولد بمكة ، وبها نشأ بعد أن كان مسترضعاً في بادية سعد بن بكر ، قريباً من الطائف ، شرقي مكة " [3] .

وديارهم هذه تقع في موقع وسط بين نجد وتهامة والسراة ، وهي الأرض التي يطلق عليها العرب لفظ (الغور) وتجاورهم القبائل التالية :

أولاً : يجاورهم من الجنوب هذيل وثقيف في سرواتهم في الطائف ، وتفصل بينهم الجبال . فهذيل وثقيف في سرواتهم في الطائف وغربها ، وبنو سعد بن بكر شمالهم ، عند أقدام جبال السراة في قرن المنازل وما حولها . وذكر ابن خلدون أن جشم يتصلون بهذيل في سراتهم ، فقال : " ومواطنهم بالسروات ، وهي بلاد تفصل بين تهامة ونجد ، متصلة من اليمن إلى الشام ، كسروات الجبل ، وسروات جشم متصلة بسروات هذيل " [4] . ومعلوم أن سراة هذيل غرب الطائف ، فإذا كانت جشم تتصل بهم هناك ، فهذا يعني أنهم يحولون بين ثقيف وبين سعد بن بكر [5] .

ثانياً : ويجاورهم من الشرق والشمال الشرقي بنو عمومتهم من عجز هوازن (بنو جشم وبنو نصر بن معاوية) فبنو نصر بن معاوية لهم أسفل وادي لية ، قال الأصفهاني : " واد يقال له ليَّة أعلاه لثقيف ، وأسفله لنصر " [6] ولهم أسفل وادي بسل ، وأعلاه لفهم ـ كما تقدم ـ ولهم أيضاً جلذان (الشط) قال عنه ياقوت : " موضع قرب الطائف بين لية وبسل ، يسكنه بنو نصر بن معاوية من هوازن " [7] ، ولهم أيضاً عكاظ ، جاء في معجم البكري عن

---

(1) صورة الأرض : 14.
(2) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : 44 .
(3) الجواب الصحيح : 5 /119 .
(4) تاريخ ابن خلدون : 2 / 370 .
(5) لم أعثر على ما يؤيد ابن خلدون في نصه هذا ، والنصوص اتفقت على أن ديار جشم شمال الطائف ، لكن لعل هذا حدث في القرون المتأخرة ، وخصوصاً إذا علمنا أن قبيلة القثمة القريبين من الطائف الآن ، يقال إنهم من بني جشم .
(6) بلاد العرب : 30 .
(7) معجم البلدان : 151/2 .

عكاظ : " وهي من عمل الطائف ، وعلى بريد منها ، وأرضها لبني نصر " [1] ، ثم ويصلون شمالاً إلى ركبة وحرة بس .

ويجاور بني نصر ـ من بطون هوازن ـ جشم ، وذلك من الشمال والشمال الغربي ، فلهم تُصلَب وبُريم ، قال الزمخشري : " تصلب : ماء في نجد لبني إنسان من بني جشم ، قال :

تذكرت مشربها من تَصلُبا ... ومن بُريم قصباً مثقبا " [2]

وذكر ابن بليهد تصلب وقال : " منهل معروف في غربي حضن ، يقال له اليوم صلّبه ، وحوله بريم ما زال باسمه " [3] . ولهم جبل حضن وما حوله [4] ، وكذلك يتصلون غرباً إلى بس وبسيان ، ونقل الأصفهاني عن الأصمعي أنه قال : " بس وبسيان ورهوة في أرض بني جشم ونصر ابني معاوية " [5] .

وهذه الديار كلها تقع شمال الطائف تقريباً ، أما منازل بني سعد فتقع إلى الغرب من منازل بني نصر وبني جشم المتقدمة ، كما سيأتي ذكره .

وكأن ديار عجز هوازن تشكل شبه مثلث ، رأسه في الطائف حيث سراة ثقيف ، وقاعدته إلى شمال مدينة الطائف ، حيث يحل بنو نصر في شرق قاعدة المثلث ، وبنو جشم وسط قاعدة المثلث ، وبنو سعد بن بكر غرب قاعدة المثلث .

ويؤيد هذا الترتيب قول الهمداني عند ذكر سراة ثقيف : " ثم سراة الطائف غورها مكة ، ونجدها ديار هوازن ، من عكاظ والعبر "[6] فجعل ديار هوازن بصفة عامة ، بما فيها ديار بني سعد بن بكر ، إلى جهة نجد من الطائف ، أي إلى جهة الشرق وليس إلى جهة الجنوب ، أمّا ديار بني سعد بن بكر منها فتقع أقصى ديار هوازن غرباً ، كما سيأتي إثباته .

ثالثاً : وتجاورهم هذيل من الشمال والغرب . فهذيل تجاورهم من الشمال في رهاط ، وتفصل بينهم حرة رهاط العريضة . كما تجاورهم هذيل من الغرب ، وذلك في وادي نخلة اليمانية ، ووادي نخلة الشامية ، وأسفل وادي الضريبة (مَر) .

ومجاورة هذيل لبني سعد بن بكر من الغرب هي الأوسع والأطول ، فهم جيرانهم من جهة الغرب كله ، ولذلك يكثر ورود ذكر القبيلتين معاً في نصوص كثيرة ، تثبت وتؤكد

---

(1) معجم ما استعجم : 2 / 959 . وقال الهمداني ص : 437 : " هي لبني هلال اليوم "
(2) الجبال والأمكنة والمياه : 201 . وانظر بلاد العرب : 8 .
(3) صحيح الأخبار : 2/ 157 . وانظر : معجم معالم الحجاز : 5/ 194 ، وذكر أن صلّبه مزرعة أسفل وادي لية لعدوان ، وأيضاً واد من جبل حضن ، ولعله هو المقصود هنا ؛ لارتباطه بجبل حضن ، حيث تقع أغلب ديار جشم .
(4) بلاد العرب : 11 . وقال : لجشم خاصة .
(5) بلاد العرب : 7 .
(6) صفة جزيرة العرب : 120 . وذكر محقق الكتاب أن العبر تحريف الفتق . والفتق قرية تذكرها المصادر أسفل وادي لية تقريباً ، لكنها خربت منذ القدم ، ولم تعد معروفة الآن .

أن بني سعد بن بكر هم جيران هذيل من الشرق ، وسأثبت عدداً كبيراً منها ؛ لأنها تؤكد مجاورة بني سعد لهذيل ، وحيث إن ديار هذيل معروفة ومذكورة ، وما زالت لهم حتى الآن ، مما يعني أن ما عداها من جهة الشرق هي ديار بني سعد بن بكر ، ولأن إيراد هذه النصوص يقطع الشبهة الشائعة في الوقت الحاضر من أن حليمة السعدية عاشت جنوب الطائف ، وأرضعت الرسول صلى الله عليه وسلم هنالك ، فإذا ثبت أن بني سعد بن بكر جيران هذيل ، فإن ديار هذيل بعيدة عن جنوب الطائف . وهذه النصوص هي :

النص الأول : عدد الأصفهاني مياه العرب ، ثم قال : " وأما بنو سعد بن بكر ، فليست لهم أعداد ، وإنما مياههم أوشال [1] ، بمنزلة مياه هذيل ، وهم جيران هذيل ، إلا أنهم ربما جلسوا إلى فروع نجد ، وهذيل لا تفارق تهامة "[2] .

وهذا النص مهم جداً لتحديد ديار بني سعد بن بكر ، وفيه أكثر من دلالة ، وأهمها :

1 / أن بني سعد جيران هذيل من جهة الشرق (نجد) [3] ، وإذا كنا نعلم ديار هذيل من تلك الناحية (النخلتان ، والرجيع ، وحشاش ، ورهاط ، وغران) علمنا إذا أن ديار بني سعد وراءها شرقاً ، وهو ما أكدته النصوص التي ذكرت ديار بني سعد ، وحددتها إلى الشرق من ديار هذيل ، مما سيأتي ذكره .

2 / وفي النص أن بني سعد ربما جلسوا إلى فروع نجد ، وهذا مهم جداً ، ويفيد أن قاعدة ديار بني سعد في الغور ، لكن ربما يصعدون إلى فروع نجد القريبة من غورهم . وعبارة (جلسوا) هنا مأخوذة من (الجَلْس) والجلس فسّره أهل اللغة وغيرهم بأنه : " ما ارتفع

---

[1] أوشال : جمع وشل ، وفي اللسان (725/1) : " الوشل ، بالتحريك : الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة يقطر منه قليلاً قليلاً ، لا يتصل قطره ، وقيل : لا يكون ذلك إلا من أعلى الجبل ، وقيل : هو ماء يخرج من بين الصخر قليلاً قليلاً " وانظر : الصحاح : 1841/5 .

(2) بلاد العرب : 13 ، 14 . مع ملاحظة أن هذيلاً ربما جلسوا إلى فروع نجد ، كبني سعد بن بكر ، وذلك في ديارهم الشمالية ، كرهاط ونحوها ، ويؤيد هذا قول شاعرهم خالد الخناعي : شرح ديوان الهذليين : (1/ 446)

فأي هذيلُ وهي ذات طوائفٍ ... يوازنُ من أعدائها ما نوازنُ
إذا ما جلسنا لا تزال ترومنا ... سليم لدى أبياتنا وهوازن
وفهمُ بن عمروٍ يعلِكون ضريسَهم ... كما صَرَفت فوق الجِذاذِ المساحنُ

قال السكري : جلسنا : أتينا نجداً .

(3) المقصود هنا هذيل الشام ، لا هذيل اليمن ؛ لأن هذيل اليمن لا نجد لهم ، ويؤيد هذا أن النصوص التي وردت بذكر القبيلتين ، والمواضع والأيام والشعراء ، تخص هذيل الشام ، حيث تنقسم قبائل هذيل إلى قسمين : هذيل الشام ، وهذيل اليمن . ويقصد بهذيل الشام ما كان شمال مكة إلى شمالها الشرقي ، وبهذيل اليمن ما كان جنوب مكة إلى جنوبها الشرقي . وهذا تقسيم عرفي قديم تستخدمه العرب ، حيث تطلق الشام على ما هو شمالي ، واليمن على ما هو جنوبي . ومثله الركن اليماني والركن الشامي في الكعبة ، ومثله في الأودية ، نخلة الشامية ونخلة اليمانية ، والأمثلة على هذا كثيرة ، وهذا التقسيم موجود في قبيلة هذيل منذ القدم ، وهذا شاعرهم عبد الصاهلي الهذلي يقول (شرح أشعار الهذليين : 770/2) :

ألا أبلغ يمانينا بأنا ... قتلنا أمس رجل بني حبيب .

قال السكري : " يمانينا " : من كان من هذيل بشق اليمن .

ويقول شاعرهم أبو بثينة القرمي (شرح أشعار الهذليين: 2/ 725) :

ألا أبلغ يمانينا بأنا ... جدعنا أنف الجدرات أمس

عن الغور ، وزاد الأزهري فخصص : في بلاد نجد " [1] .

أمّا الغور فبعضهم جعله تهامة بصفة عامة ، وبعضهم جعله مرحلة بين نجد وتهامة ، وقد ذكر الأصمعي أن :" أول الغور من قبل نجد ، مدارج ذات عرق " [2] . وستأتي النصوص التي تثبت أن ديار بني سعد بن بكر في أول الغور ، وفي أول فروع نجد .

النص الثاني : ونقل ابن منظور وغيره عن أبي سعيد الضرير في تفسير بيت أبي ذؤيب الهذلي ، وهو يصف حمار الوحش :

صَخِبُ الشَّوارب لا يزال كأَنَّه ... عَبدٌ لآل أَبي ربيعةَ مُسبِع

قال ابن منظور : " قال أَبو سعيد الضرير : مُسْبِع بكسر الباء ، وزعم أَن معناه أَنه وقع السباع في ماشيته ، قال : فشبه الحمار وهو ينهق بعبد قد صادف في غنمه سبُعاً فهو يُهَجْهِجُ به ؛ ليزجره عنها ، قال : وأَبو ربيعة في بني سعد بن بكر وفي غيرهم ، ولكن جيران أَبي ذؤيب بنو سعد بن بكر ، وهم أَصحاب غنم ، وخص آل ربيعة ؛ لأَنهم أَسوأُ الناس ملكَةً " [3] .

فهذا النص فيه دلالتان مهمتان :

1 / فهو يدل على أن بني سعد بن بكر جيران هذيل ، وجيران أبي ذؤيب على سبيل الخصوص ، ومعلوم أن أبا ذؤيب من هذيل الشام ، ومن أهل وادي الرجيع ، في صدور وادي الهدة (هدى الشام) ، وقد تكرر ذكره في شعره كثيراً ، ومن ذلك قوله [4] :

رأيت وأهلي بوادي الرجيع ... من أرض قبلة برقاً مُلِيحا

فبنو سعد بن بكر جيران هذيل في تلك الناحية ، أي من جهة الحرة شرق هدى الشام .

2/ أن بني سعد أصحاب غنم كما في هذا النص ، أي أنهم بادية ، وهذا يفيد في رد شائعة جنوب الطائف ؛ لأن أهل السراة أهل زرع ، وهم مستقرون غالباً ، ولا يوصفون بأنهم بادية وأهل غنم .

النص الثالث : روى السكري أن رجلاً من خزاعة اسمه عامر بن عبيد ، ويقال له مجمِّع ؛ لأنه جمع خزاعة ، وقد غزا داراً من بني سهم بن معاوية (من هذيل) ، وداراً من بني سعد بن بكر ، إلا أنه قتل في هذه الغزوة ، فرثته جنوب بنت الحزن بقولها :

(1) لسان العرب : 344/3 ، وانظر : معجم البلدان : 4/ 217 .
(2) معجم البلدان : 217/4 .
(3) لسان العرب : مادة (سبُع) .
(4) شرح أشعار الهذليين : 197.

ألا يـا عين مـا جودي بهمرِ ... على قتلى بني كعب بنِ عمروِ

أصابتهم قبائلُ من هذيلٍ ... وآدتها بنو سعدِ بنِ بكرِ

قال السكري : " آدتها : أعانتها " [1] .

فهذا النص يفيد أن عامر بن عبيد الخزاعي قد غزا هذين الحيين من هذيل وبني سعد معاً ، وهذا لا يكون إلا إذا كانت هاتان القبيلتان متجاورتين متقاربتين ، ويمكن أن يتعاونا أحياناً ضد العدو المشترك . وغزو خزاعة ، وهي قبيلة تهامية صرفة ، لبني سعد بن بكر ، يظهر بعد قول من قال إن بني سعد في السراة جنوب الطائف .

النص الرابع : أورد أبو الفرج الأصفهاني في أخبار أبي خراش الهذلي ، أنه خرج في رفقة له من بني قرد من هذيل يطلبون الصيد ، قال : " فبينا هم بالمجمعة من نخلة ، لم يرعُهم إلا قومٌ قريبٌ من عدتهم فظنهم القرديون قوماً من بني ذؤيبة أحد بني سعد بن بكر بن هوازن ، أو من بني حبيب أحد بني نصر ، فعدا الهذليون إليهم يطلبونهم ، وطمعوا فيهم ، حتى خالطوهم وأسروهم جميعاً ، وإذا هم قوم من بني ليث بن بكر ... فقال أبو خراش :

عدونا عَدوةً لا شك فيها ... وخِلناهم ذؤيبةَ أو حبيبا " [2] .

فهذا الظن من الهذليين من أن هؤلاء من بني سعد بن بكر ، لا يكون إلا إذا كان وجود بني سعد في وادي نخلة ـ من ديار هذيل ـ محتملاً ؛ بسبب قربهم من هذا الموقع وجيرتهم لهم ، ولو كان بنو سعد بن بكر جنوب الطائف ، لما حصل هذا الظن .

ويظهر أن بني ذؤيبة من بني سعد بن بكر هم الأقرب إلى هذيل ، كما في هذا الخبر ، وكما في الخبر الذي نقله السكري ، قال : " أخذت بنو خناعة بن سعد بن هذيل ربيعاً سيّد بني ذؤيبة من بني سعد بن بكر فباعوه بمكة ، فقال معقل بن خويلد :

فدى لبني خناعة يوم لاقوا ... ذؤيبة ما أراح وما أساما "[3]

ومعلوم أن معقل بن خويلد الهذلي من أهل نخلة ، كما في قوله [4] :

فقلت هم قومي بأعناء نخلة ... وأحوالها فيه قراري ومولدي

---

(1) شرح السكري على ديوان الهذليين : 862/2 .
(2) الأغاني :21 / 212 .
(3) شرح ديوان الهذليين : 1/ 394 .
(4) المصدر نفسه : 394/1 .

فإذا كان بنو ذؤيبة من بني سعد بن بكر هم الجيران الأقرب إلى بني خناعة من هذيل الشام ، وإلى جهة نخله ، فكيف لمن ينسب الذوييات من بني سعد الآن إلى بني ذؤيبة هؤلاء ، ثم يقول : كانت منازلهم جنوب الطائف !!

فهذه النصوص جميعاً ونحوها [1] تدل دلالة قوية على نتيجة واحدة هي أن ديار بني سعد بن بكر، الذين نشأ الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم ، تقع إلى الشرق من ديار هذيل الشام مجاورة لها ، وأغلبها في الغور ، وربما ارتفعوا إلى فروع نجد .

([1]) ذكر ابن سيد الناس في سيرته (عيون الأثر : 345/2) خبر خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، وفيها : " فخطب على راحلته خطبة ، ذكر فيها عليه السلام تحريم الدماء والأموال والأعراض ، ووضع فيها أمور الجاهلية ودماءها ، وأول ما وضع دم ابن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، كان مسترضعاً في بني سعد بن بكر فقتله هذيل " ومثله في (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد : 8/ 469) . وقد ورد هذا الخبر في صحيح مسلم وغيره بلفظ : " إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل " (صحيح مسلم : 889/2) دون ذكر لمن هم بنو سعد هؤلاء ؟ وذكر ابن اسحق وغيره أنه كان مسترضعاً في بني ليث . انظر : (سيرة ابن هشام :604/2) والصحيح أنه لم يكن مسترضعاً في بني سعد بن بكر ، ورواية مسلم وابن اسحق لا تتعارضان ، وكلاهما صحيح ؛ لأنه كان مسترضعاً في بني سعد بن ليث بن بكر . وقد صرّح بهذا الواقدي في : (المغازي : 1111/3) . وانظر خبر مقتله عند السكري في : (شرح أشعار الهذليين :2/ 549) .

المطلب الثاني : أسماء ديار بني سعد بن بكر زمن البعثة والقرون الأولى من الهجرة :

من قراءة كتب البلدان والمواضع والسير والتأريخ والأدب واللغة وغيرها ، نستطيع أن نحصر أغلب ديار بني سعد بن بكر ، التي ذكرت النصوص أنها لهم ، وذلك في زمن البعثة والقرون الأولى من الهجرة ، وهي :

أولاً : البوباة : واسمها الآن (البهيتة) وقد نصت كتب البلدان على أنها لبني سعد بن بكر ، قال الأصفهاني : " ... ثم تصير إلى البوباة ، وهي صحراء ، وهي في بلاد سعد بن بكر "[1]. وقال ياقوت عن البوباة : " اسم لصحراء بأرض تهامة ، إذا خرجت من أعالي وادي نخلة اليمانية ، وهي بلاد بني سعد بن بكر بن هوازن "[2] . وقال الزمخشري : " صحراء بتهامة ، و هي بلاد سعد بن بكر "[3] . فهذه النصوص ـ وغيرها كثير مما لم أذكره ـ صريحة في أن البوباة لبني سعد بن بكر .

ثانياً : قرن المنازل : واسمه الآن (السيل الكبير) وهو من ديار بني سعد بن بكر ، جاء في بلاد العرب : " وقرن وهو بين المناقب والبوباة ، وهو أقصى البوباة ، وهو واد يجيء من السراة ، لسعد بن بكر ولبعض قريش "[4] . وسمّاه ياقوت (قرن البوباة) قال : " واد يجيء من السراة لسعد بن بكر ولبعض قريش "[5] . ولاشك أن وجود قريش هنا طارىء بعد الإسلام ؛ إذ لم يكن لقريش هنا وجود في أول زمن البعثة ؛ لأن ديار قريش مكة وما حولها ، وبينهم وبين قرن المنازل ديار هذيل .

ثالثاً : ذات عرق : وتسمى الآن (الضريبة) وهي من ديار سعد بن بكر ، جاء في معجم البلدان : " وأما أعلى نخلة ذات عرق ، فهي لبني سعد بن بكر ، الذين أرضعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي كثيرة النخل " [6]. ونقل ابن منظور في لسان العرب : " قال أبو عمرو بن العلاء : سألت رجلاً من سعد بن بكر من أهل ذات عرق ، فقلت : هذا الكوكب الضخم ، ما تسمونه ؟ قال : الدريء . " [7] .

---

(1)بلاد العرب : 27 .
(2) معجم البلدان : 1/ 506 .
(3) الأمكنة والجبال والمياه : 22 .
(4) بلاد العرب : 27 .
(5) معجم البلدان : 4 / 332 .
(6) معجم البلدان : 5 / 278 . ويقصد بنخلة هنا نخلة الشامية ، والقول بأن ذات عرق أعلى نخلة الشامية المقصود به من حيث قربها منها بحيث تظهر وكأنها أعلاها ، ولأن الطريق السالك المعروف يمر من نخلة الشامية على ذات عرق ، وإلا فإن مياه ذات عرق لا تذهب إلى نخلة الشامية ، ومثله ما يقال لقرن المنازل إنه أعلى نخلة اليمانية ، ولنفس السبب .
(7) لسان العرب : (درأ) وانظر : العباب الزاخر : 1 / 16 .

فهذان نصان صريحان في أن ذات عرق لبني سعد بن بكر . ويسمى الآن وادي الضريبة ، وقد كان هذا الاسم لوادٍ أعلى ذات عرق ، جاء في كتاب الأماكن للحازمي عن الضريبة قوله : " وادٍ حجازي يدفع سيله في ذات عرق " [1] ثم نُقِل الاسم ليشمل الوادي كلّه .

ومما تقدم يتضح أن الميقاتين (قرن المنازل ، وذات عرق) وكذلك (البوباة) هي من ديار بني سعد بن بكر ، وهذه بالاتفاق ولم أر من خالف فيه من أهل البلدان أو التأريخ ، سوى ما أورده الحربي في المناسك من قوله : " وبذات عرق قصر ومسجد ، وهي لبني هلال بن عامر ... " [2] وبنو هلال هم أحد بطون هوازن ، ومنازلهم كانت إلى الشرق من بني نصر بن معاوية ، وقد أورد الطبري خبر إرسال الخليفة العباسي الواثق جيشاً بقيادة بغا التركي ؛ وذلك سنة (230 هـ) لتأديب القبائل التي تقطع الطرق شرق المدينة ومكة المكرمة ، وفيه : " ثم شخص إلى مكة حاجا في ذي الحجة ، فلما انقضى الموسم انصرف إلى ذات عرق ، ووجه إلى بني هلال من عرض عليهم مثل الذي عرض على بني سليم فأقبلوا... " [3] . وهذا يدل على أن بني هلال قريبون من ذات عرق في ذلك الوقت . وقد ذكر الهمداني أنهم وصلوا عكاظ في زمنه [4] ، واحتمال أن بعضهم وصل إلى ذات عرق في الزمن المتأخر وارد .

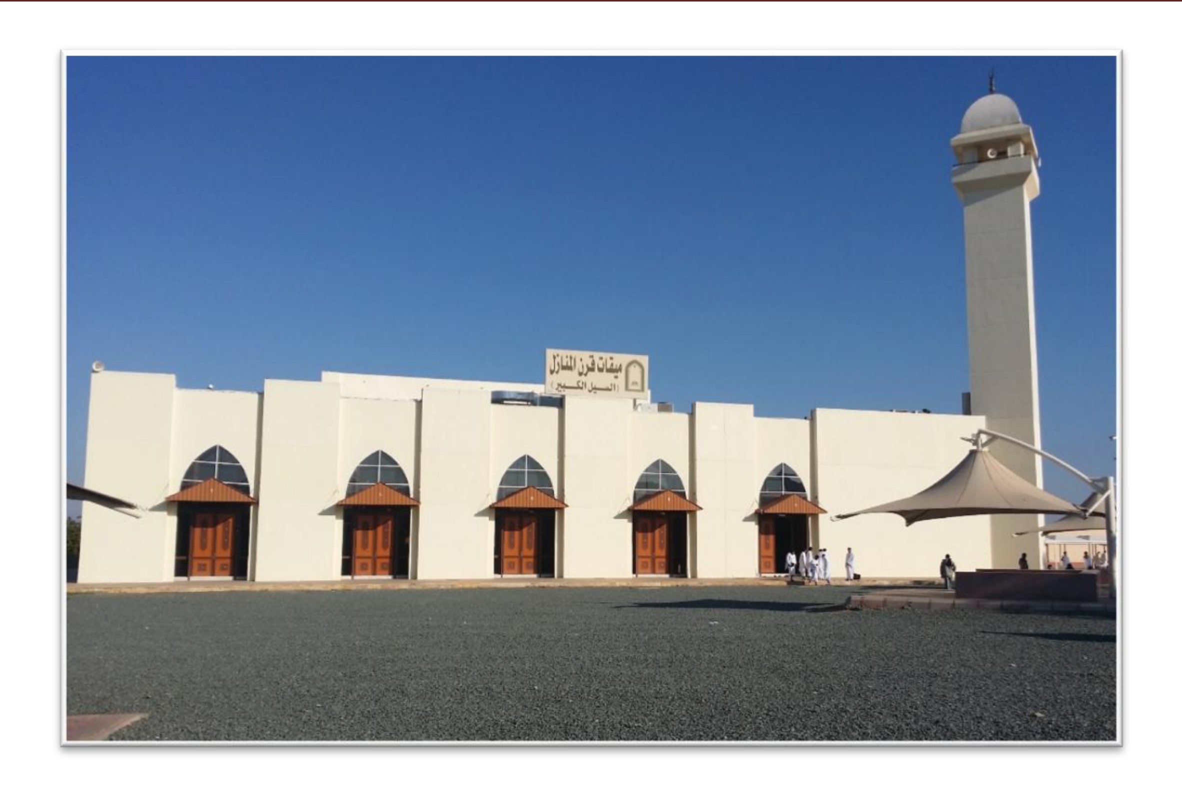
---

(1) الأماكن : 1/ 614 .

(2) المناسك : 352 .

(3) تاريخ الطبري : 9/ 131 .

(4) صفة جزيرة العرب : 437 .



ميقات قرن المنازل (السيل الكبير)



وادي قرن المنازل (السيل الكبير) .



ميقات ذات عرق (الضريبة) وهو الآن في طور الإنشاء .



وادي ذات عرق (الضريبة) .

رابعاً : وادي مر : **وردت نصوص يفهم منها أن لبني سعد بن بكر واد اسمه مر ، ومن ذلك ما جاء في كتب اللغة عند ذكر نبات الأَرِينة ، قال شمر : " هي عندي الأَرِينة ، سمعت الفصيح من أعراب سعد بن بكر ببطن مر "** [(1)] **.**

فهذا النص يشير إلى أن بني سعد بن بكر يسكنون في واد اسمه مر ، وأيضاً فقد ورد هذا الوادي في شعر أبي وجزة السعدي ، وهو يعدد ديار قومه بني سعد ، فقال [(2)] **:**

(1) تاج العروس : 1 / 534 .
(2) شعر أبي وجزة السعدي : 54 .

عفت مَرٌّ من أحياء سعدٍ فأصبحت ... بسابس لا نارٌ ولا نبحُ نابح

ومثله أيضاً ما رواه السكري من شعر حدير شاعر بني ذؤيبة من بني سعد بن بكر يجيب شاعر هذيل معقل بن خويلد في قوله :

فدى لبني خناعة يوم لاقوا ... ذؤيبة ما أراح وما أساما

قال حدير شاعر بني ذؤيبة :

لا تفخر بقتل بني ذؤيب ... وقيسٍ أن تُعنّف أو تلاما

فلا تفخر فإنا قد تركنا ... (بقينة مرٍ) أوصالاً وهاما

قال السكري : " قينة : واد ، ومر : مر الظهران " (1) . ففسر وادي مر في هذه الأبيات بوادي مر الظهران (وادي فاطمة) . ولعل هذا هو ما دعا بعضهم للقول بأن وادي مر الظهران من ديار بني سعد بن بكر .

قلت : هذا بعيد جداً ؛ لأن مر الظهران في جزعه الرئيس وحين يأخذ هذا الاسم وهو (الجموم حالياً) هو من ديار خزاعة ، والشواهد على هذا كثيرة (2) ، كما أن أعلى وادي (مر الظهران) وهو (نخلة اليمانية ونخلة الشامية) لهذيل ، والشواهد على هذا أكثر ، وما زالت هذيل فيهما حتى الآن . لكن المقصود في هذه الأبيات هو واد آخر لم تذكره كتب البلدان قديماً ، ففي جزيرة العرب أكثر من واد يسمّى مَرّ ، منها اثنان مشهوران هما (مرعُنبُب) وهو وادي الأبواء ، أو وادي (رابغ) الآن ، و (مر الظهران) وهو (وادي فاطمة) الآن ، قال الهَجَري : " مر بالحجاز موضعان : مر عنبب ، وهو مر الحريقة ، وهو وادي الأبواء ، ومر الظهران موطيء طريق الحاج " (3) .

ويجد أيضاً مر ثالث لم تذكره كتب البلدان ، وهو المقصود هنا ، وهو ما يمكن تسميته (مر الضريبة) وهو وادي الضريبة نفسه بعد أن يتجاوز الميقات والقعضبة ، حيث يسمى في أعلاه (الضريبة) ويسمى في وسطه - بعد دخوله الحرة - (وادي مر) ويسمى في نهايته قبل أن يدفع في مر الظهران (وادي حُوَرَه) ووادي مر هذا لم تذكره كتب البلدان قديماً ، لكن هذا الاسم موجود ومعروف الآن ، وتظهره الخرائط ، وأشار إليه البلادي في معجمه في أكثر من موضع ، منها قوله عند ذكره لوادي مر : " ومر آخر : يأخذ سيل

---

(1) شرح أشعار الهذليين : 879/2 .

(2) انظر : صفة جزيرة العرب : ص: 120 ، وفيه : " ومكة أحوازها لقريش وخزاعة ، ومنها مرّ الظّهران والتّنعيم والجعرانة وسرف وفخّ والعصم وعسفان وقديد وهو لخزاعة " وقال ابن خلدون في تاريخه (2 / 376) عن قبيلة خزاعة : " ومواطنهم بأنحاء مكة في مرّ الظهران وما يليه وكانوا حلفاء لقريش " وانظر : القلقشندي في : قلائد الجمان ص : 98 ، والأنساب للصحاري : 234 .

(3) النوادر والتعليقات : 1860 .

الضريبة وحماه ، يكون كثير المياه ، تجري على وجه الأرض ، ثم يدفع في مر الظهران من الشمال " [1] . وقال عند حديثه عن وادي حماه القادم من الحرة في الشمال : " وحماة عند مصبها تجتمع مع وادي الضريبة ، فإذا اجتمعا سمي الوادي مراً ، حتى يصب في مر الظهران من الشمال " [2] .

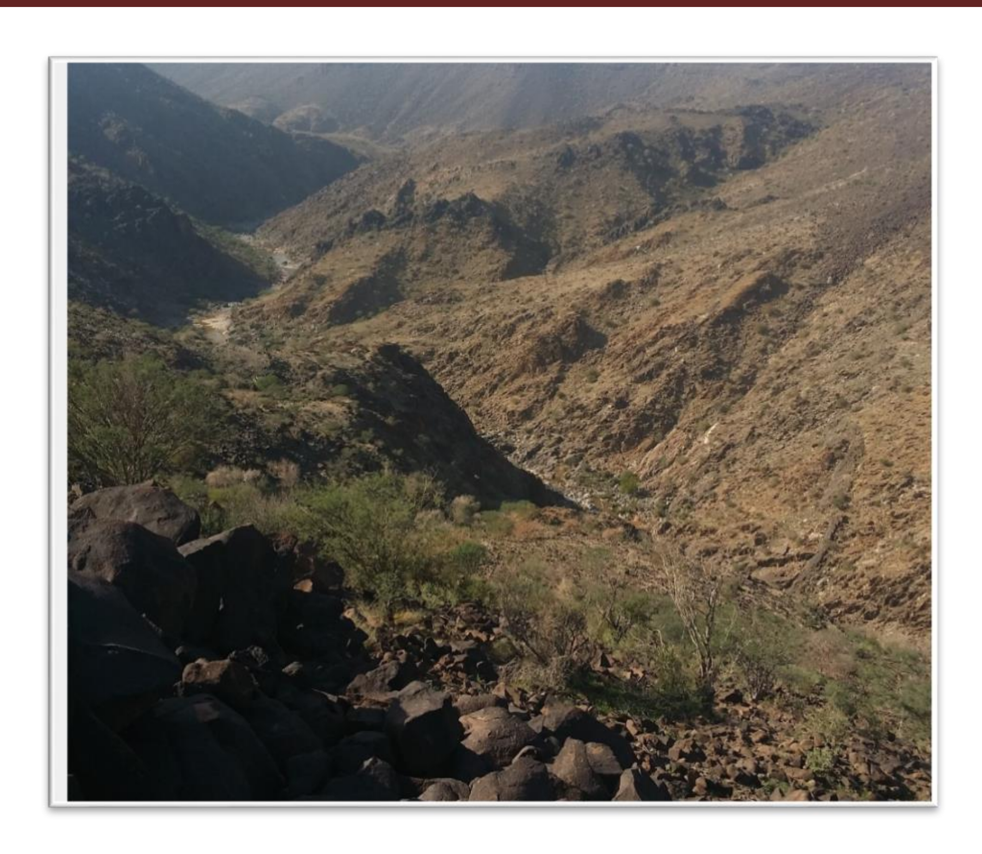
ووجود بني سعد هنا مقبول وممكن ؛ لأنه موضع متصل بديارهم السابقة ومجاور لها ، وأعلاه (ذات عرق) لبني سعد بن بكر . وعليه فالقول بأن المقصود بمر في الأبيات السابقة هو (مر الضريبة) هو القول الأولى والأقرب للقبول .

والبيت الذي رواه السكري يؤيد هذا الاختيار ؛ لأن الشاعر أضاف وادي (قينة) إلى وادي مر إضافة اختصاص فقال : (قينة مرٍ) وهذا دليل قربهما واختصاصهما ببعض ، ووادي(قينة) معروف الآن ، وهي شعب لهذيل في وادي الفوارة الذي يعتبر أهم روافد (مرالضريبة) من الجنوب كما أن وادي حماه أهم روافده من الشمال . أما وادي (مرالظهران) فيبعد كثيراً عن وادي قينة ، ولا تصح إضافته إليه .

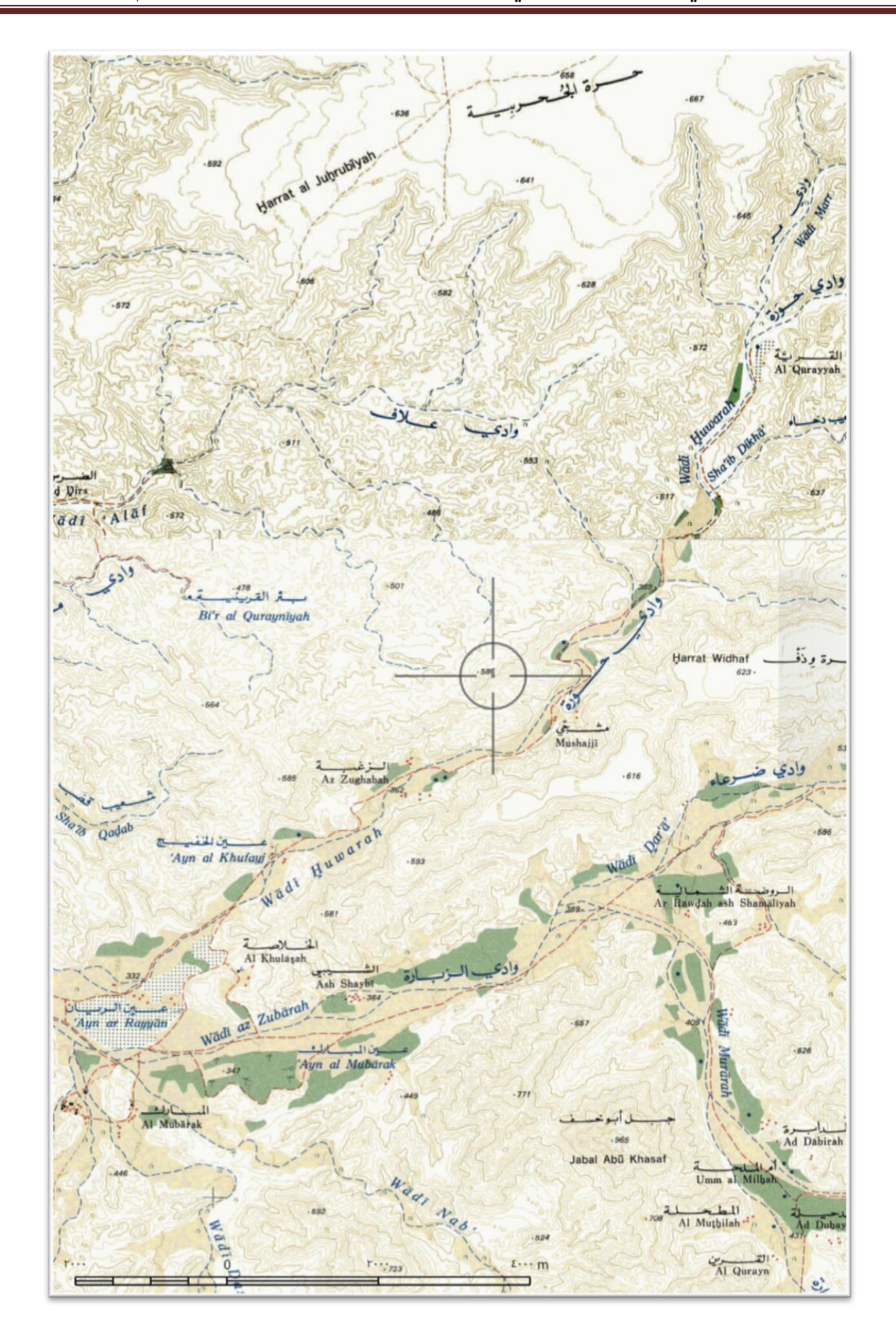


وادي (مر الضريبة) ضيق كثير المياه .

(1) معجم معالم الحجاز : 8 / 99 .
(2) معجم معالم الحجاز : 3 / 57 . وقد سألت أهل الموضع فذكروا لي أن الوادي يكتسب اسمه بمجرد تجاوزه للقعضبة ودخوله الحرة ، وقبل أن يلتقي بوادي حماه .



(مر الضريبة) .



صورة من خرائط هيئة المساحة لوادي (مر الضريبة) قبل نهايته ، حيث يصبح (وادي حُوَرَه) ويدفع في وادي (مر الظهران) عند الريان .

خامساً : حرّة الجمهورة : تكررت في كتب اللغة على أنها لبني سعد بن بكر ، قال في المحكم : " والجُمْهُور : الأرض المشرفة على ما حولها ، والجمهورة : حرة لبني سعد بن بكر " [1] **وفي لسان العرب عن المسروحي : " سمعت رجلاً من بني (رويبة بن قصيبة) بن نصر بن سعد بن بكر يقول : أوفى رجل منا على ظهر ودْع بالجمهورة وهي : حرة لبني سعد بن بكر ..."** [2]

ولم أجد من حدّد موضع حرة الجمهورة ، لكن تقدم أن (ذات عرق) لبني سعد ، وأن (وادي مر الضريبة) لهم أيضاً ، والحرار تحيط بهذه الديار ، فلاشك أنها واحدة منها ، وقد أظهرت الخرائط التي رسمتها هيئة المساحة بالمملكة أن الحرة التي تشرف على وادي (مر الضريبة) من الجنوب ، وتشرف على أعالي الفوارة اسمها (حرة الجميرة) وواضح الشبه الشديد بين الاسمين .

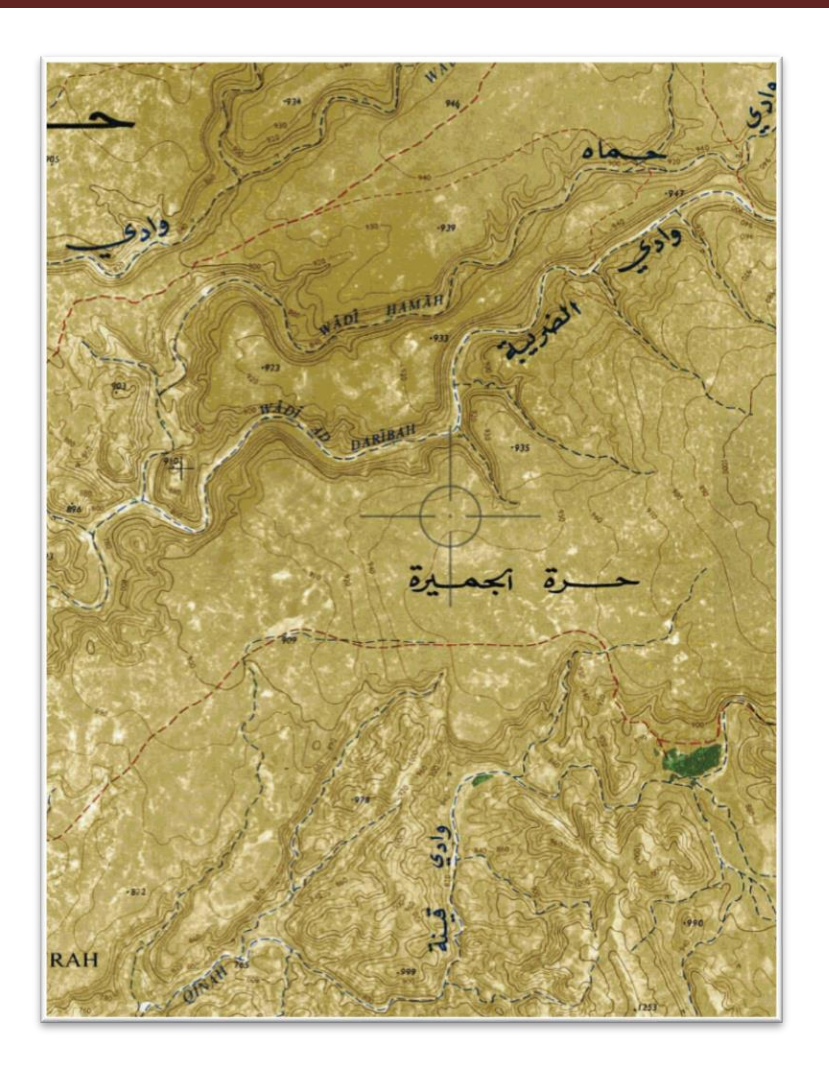
لكن عند سؤال الأهالي عن حرة الجميرة تبين أنها تبعد إلى الغرب قليلاً عما رسمته الخرائط ، وأنها حرة صغيرة مستوية السطح ، لا يتجاوز قطرها نصف كيلو متر ، منفصلة عن الحرار تشرف بوضوح على وادي الفوارة ، ووادي اللصيبة (أحد فروع الفوارة) والحرة والواديان الآن في ديار هذيل.

وحرة الجميرة هذه تقع بالقرب من ديار بني سعد بن بكر السابقة ، كالضريبة ووادي مر ، ووقوعها قرب ديارهم ، مع هذا الشبه القوي بين الاسمين ، قد يرشح أن حرة الجميرة المعروفة الآن هي حرة الجمهورة الواردة في المصادر .

لكن هل هي حرة (الجمهورة) منذ القدم وحصل التبديل بين الحروف مع مرور الزمن ؟ أو هي حرة (الجميرة) منذ القدم وحصل التصحيف في النص والرواية ؟ لعل القول الأخير هو الأقرب ، ويؤيده أن نص لسان العرب المنقول سابقاً ورد فيه أكثر من تصحيف .

---

(1) المحكم : 2 / 253 . وهذا خير دليل على أن بني سعد بن لم يكونوا ذلك الوقت في السراة ؛ لأن السراة لا حرار فيها .
(2) لسان العرب : ودع .



حرة الجميرة ـ كما أظهرتها خرائط هيئة المساحة ـ تشرف على وادي (مرالضريبة) من جنوبه ، قبل أن يلتقي وادي حماة ، وتشرف على أعالي وادي الفواره (اللصيبة) من شماله



صورة فضائية من برنامج قوقل إيرث لحرة الجميرة بعد سؤال أهل المنطقة ، وهي تبعد قليلاً إلى الغرب عما رسمته خرائط هيئة المساحة ، وهي تشرف على وادي الفوارة ، ووادي اللصيبة .



صورة لحرة الجميرة من شمالها ، وتظهر قرية الفوارة ، ومن خلف الحرة جبل حفحوف الشهير .

سادساً : أوطاس : (المنطقة ما بين أعالي ذات عرق ، ووادي العقيق كما سيأتي) فقد ذكرها إبراهيم الحربي ، في كتابه المناسك وأماكن طرق الحج ، وقال : " وأوطاس بها قصور وأبيات ، وحوانيت ، وبركة يسْرَة . ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرضع في تلك الناحية " [1] . فلم يذكر أنها من ديار بني سعد بن بكر ، لكن ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرضع في تلك الناحية ، ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم كان يرضع في ديار بني سعد بن بكر . وسيأتي مزيد تفصيل عن أوطاس لاحقاً .

سابعاً : وادي العقيق : جاء ذكر للعقيق في شعر أبي وجزة السعدي ، قال [2] :

يا صاحبيّ انظرا هل تؤنسان لنا ... بين العقيق وأوطاس بأحداج

ووادي العقيق واد فحل وطويل وهو لا يختص ببني سعد بن بكر قطعاً ، بل تشاركهم فيه بنو عمومتهم من بني نصر بن معاوية وبني جشم ، وخصوصاً في أعاليه من جهة الطائف ، وتشاركهم سليم في أسفله ، وقد تردد في شعرهم جميعاً ، كقول عائذ بن جوئيّة النصري[3] :

ألا أيها الركب المخبون هل لكم ... بأهل العقيق والمناقب من علم

فقالوا عن أهل العقيق سألتنا ... أولي الخيل والأنعام والمجلس الفخم

وقد تكرر ذكر العقيق في شعر أبي وجزة السعدي في أبيات كثيرة من شعره ، وهو يقصد به ـ في أغلبها تقريباً ـ عقيق المدينة ، وليس عقيق شمال الطائف (عقيق عشيرة) ماعدا البيت المتقدم ، فهو يقصد به عقيق شمال الطائف (عقيق عشيرة) ؛ بدليل أنه ذكر فيه أوطاس ، ووادي العقيق يمر بطرف أوطاس الشمالي ، فالغالب أن بني سعد بن بكر يصلون إلى وادي العقيق في هذا الجزء اليسير من الوادي [4].

---

(1) المناسك : 347 .

(2) معجم البلدان : 1 / 281 . وكلمة أحداج في البيت : جمع حِدج ، وهو : مركب من مراكب النساء ، كالمحفّة ، انظر : الاشتقاق : 347 .

(3) المؤتلف والمختلف : 1 / 34 .

(4) ومن أمثلة ورود عقيق المدينة ، أو أحد نواحيه ، في شعر أبي وجزة :

أ/ قوله في (وفاء الوفاء : 8/4) : "وتقدم في غدران لعقيق ذو الأثبة ، وفيه يقول أبو وجزة :

قصدن رياض ذي أثب مقيلا ... وهنّ روائح عين العقيق " .

ب/ قوله في (معجم البلدان : 96/3) : " روضة نسر: بنواحي المدينة، قال أبو وجزة السعدي :

بأجماد العقيق إلى مراخ ... فنعف سويقة فرياض نسر "

والبيت فيه أكثر من موضع ، وهي كما قال ياقوت (معجم البلدان : 284/5) من نواحي المدينة .

ج/ قوله في (معجم البلدان :) عن الموضع (أشداخ) : " وهو موضع في عقيق المدينة ، قال أبو وجزة السعدي :

تأبد القاع من ذي العش فالبيد ... فتغلمان فأشداخ فعبود "

والبيت فيه عدة مواضع ، كلها حول المدينة .

د/ قوله في (وفاء الوفاء : 128/4) عن فلجة : " من أودية العقيق كما سبق ، وفيها يقول أبو وجرة السعدي :

إذا تربعت ما بين الشريق إلى .. روض الفلاج أولات السّرح والعبب

ثامناً : حرة بُس : أنشد الأصمعي لأحد بني سعد بن بكر بيتين ورد فيهما ذكر حرة بُس ، قال [1] :

أبت صحف الغرقي أن تقرب اللّوى ... وأجزاع بسٍ وهو عَمٌ خصيبها
أرى إبلي بعد اشتماتٍ ورتعةٍ ... يرجّع سجعاً آخر الليل نيبُها

وتقدم أن حرة بس لجشم ويشاركهم فيها بنو نصر ، وورودها في شعر بني عمومتهم بني سعد بن بكر يشير إلى أنهم يشاركونهم شيئاً منها ، وهذا الشاعر السعدي يرى إبله ترتع في أجزاع بس الخصيبة ، وإذا وجد بنو سعد هنالك فهم غالباً في أطراف بس الشمالية والغربية ؛ لأنها متصلة بديارهم في أوطاس وذات عرق .

تاسعاً : تقتد : ذكر ياقوت أنه ماءٌ ، ونَسَبه لبني سعد بن بكر ، قال : " رَكِيّة بعينها في شق الحجاز ، من مياه بني سعد بن بكر بن هوازن " [2] .

وقد ذكر عرّام السلمي تقتد وقال إنها قرية من ديار سليم ، ولم يذكر أنه ماء [3] ، وكذلك فعل البكري نقلاً عنه [4] ، وفعل ذلك ياقوت نفسه نقلاً عن أبي الندى ، قال : " قرية بالحجاز بينها وبين قلهى جبل يقال له أديمة ... وهي من ديار بني سليم " [5] .

فإن كان المقصود من تقتد القرية ، فهي ليست من ديار بني سعد ؛ لأن الجميع متفق على أنها من ديار بني سليم ، بمن فيهم ياقوت نفسه ، وعرّام أعرابي من بني سليم ، وهو أعرف بديار قومه . لكن إن وجد ماء اسمه تقتد غير القرية السابقة ، وهو ـ كما قال ياقوت ـ من ديار بني سعد ، وفي شق الحجاز ، فهذا ممكن ، والأسماء تتكرر ، بالرغم مما تقدم عن الأصفهاني من أنه ليس لبني سعد مياه عدود ، وإنما مياههم أوشال . لكن يقوي هذا الظن أن تقتد وردت في شعر أبي وجزة ، في قوله [6] :

كأن لم يكن بين الثنية منهمُ ... وتقتد حزم من غريب ونائح

ويؤيده أيضاً قوله : في شق الحجاز ، فهي أقرب لأن تكون لبني سعد بن بكر ؛ لأن ديار سليم أبعد قليلاً عن شق الحجاز ، أي : طرفه ، وبنو سعد بن بكر أولى بهذا الوصف ؛ ففي كتاب (المحتضرون) أن عبدالعزيز بن مروان قال عند موته : " ألا ليتني لم أك شيئاً مذكوراً

واحتلّت الجوّ فالأجراع من مرج ... فمالها من ملاحات ولا طلب "
والأمثلة على هذا كثيرة ، وهذه بعضها .

(1) بلاد العرب : 12 ، 13 .
(2) معجم البلدان : 2 / 37 . والركية : البئر .
(3) نوادر المخطوطات : 2 / 427 .
(4) معجم ما استعجم : 2 / 907 .
(5) معجم البلدان : 2 / 37 .
(6) شعر أبي وجزة : 54 .

، ألا ليتني كهذا الماء الجاري ، أو كنابتةٍ من الأرض ، أو كراعي ثُلةٍ في طرف الحجاز ، من بني نصر بن معاوية ، أو بني سعد بن بكر " [1]

إلا أن ياقوت لم يحدد موضع تقتد ، وبالتالي لا يستفاد منها في تحديد ديار بني سعد ؛ لعدم معرفة موضعها ، لكن قوله : (في شق الحجاز) يدل على قربها من السراة .

عاشراً : الديار الواصلة بين هذه المواقع مما لم يُذكر قديماً ، أو ذُكر ولم يُنسب لبني سعد بن بكر أو لغيرهم ، والغالب أنها من ديارهم ؛ لوقوعها بين ديارهم أو في أطرافها ، وهي الديار الواقعة الآن بين : البهيتة والسيل الكبير من الجنوب ، ورؤوس نخلة الشامية من الغرب ، وأطراف العقيق من الشمال ، وحرة بس من الشرق . وهي تشمل عدة أودية وجبال ، فمن أهم الأودية :

وادي المليح [2] ، ووادي (بعج) [3] ووادي (طلحة) [4] وأعالي وادي (بِري) [5] والفروع العليا من وادي (كندة) شرق وجنوب قرية القفيف [6] ووادي (سِلْحَة) [7] ووادي (الحنو وأبو عشر) [8] ووادي (أنخل) [9] وكذلك الأودية والجبال جنوب حرة رهاط

---

(1) المحتضرون : 1/ 110 . وانظر : ، كتاب الولاة القضاة ، للكندي : 43 .

[2]() ذكر البكري (معجم ما استعجم :195/1) أن الموضع أملاح من ديار هوازن ، وقال : " أملاح : موضع في ديار هوازن ، به مياه ملحة . قال أبو جندب :

وغربت الدعاء وأين مني ... أناسٌ بين مَرٍ إلى يدومِ
وأحياءٌ لدى سعد بنِ بكر ... بأملاح فظاهرة الأديمِ

فالبكري قال إنها موضع في ديار هوازن ، ولم يخصها بقبيلة معَّينة منهم ، إلا أن الشاعر الهذلي خصها بسعد بن بكر . أما ياقوت فقد أوردها وقال : " تكرر ذكره في شعر هذيل ، فلعله من بلادهم " (معجم البلدان : 255/1)

ووادي المليح يقع بالقرب من قرن المنازل (السيل الكبير) وهو أسفل السيل الصغير ، وقد ورد ذكره في السيرة ، وأن الرسول صلى الله علية وسلم مر به في طريقه إلى الطائف بعد غزوة حنين ، قال ابن اسحق (سيرة ابن هشام : 2/ 482) : " فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم نخلة اليمانية ، ثم على قرن ، ثم على المليح ، ثم على بحرة الرغاء من لية ، فابتنى بها مسجداً " .

ووادي المليح هذا قريب من ديار بني سعد بن بكر السابقة ، فهو مجاور لقرن المنازل ، والغالب أنه من ديارهم ، لكن هل هو (أملاح) السابق ؟ قد يكون هو بالرغم من أن وادي المليح موجود بهذا الاسم قديماً ، لكن في الشعر قد يحصل تجاوز في التسمية ، وقد لا يكون هو ، وأن أملاح موضع آخر من ديار بني سعد بن بكر التي لم تعرف .

([3]) أسفل وادي قرن المنازل (السيل الكبير) قبل أن يلتقي حراضاً ، ثم يصب في نخلة الشامية .

([4]) واد قصير يصب في بعج من الشرق .

([5]) واد متوسط يصب أعلى نخلة الشامية عند مصب حراض .

([6]) وادي كندة كان يسمى (غمر ذي كندة) ويدعى أيضاً (الغُمير) بالتصغير ، وله ذكر في كتب البلدان ؛ لأنه كان على طريق الحاج العراقي . وفي معجم البلدان (414/1) : " بستان الغُمير: بالتصغير ، كان يقال له في الجاهلية غمر ذي كندة ، فاتخذ فيه ناس من بني مخزوم أرضاً فيقال له : بستان الغمير " والمقصود هنا أعالي وادي كندة من جهة القفيف ، وليس موضع الغمير على طريق الحاج ؛ لأن غمر ذي كندة في هذه الجهة من ديار هذيل ، انظر : شرح ديوان الهذليين : 869 .

([7]) وادي سِلْحَة واد كبير تلتقي أعاليه بأعالي وادي كندة ، ويجمع مياه غرب حرة بس ، ويمر بجنوب أوطاس ، حتى يصب في العقيق بطول 40كم تقريباً . ولم أعثر له على ذكر قديماً ، فلعل اسمه كان مختلفاً ، وهو غير المِسلَح شمال العقيق ، والذي يتكرر ذكره في الكتب ؛ لوقوعه على طريق الحاج العراقي ، والذي يقع في ديار سليم .

([8]) أعلى وادي الضريبة يجمع المياه من أعالي وادي أبي عشر ومن أرض (الشرافة) ، وهي كما قال البلادي في معجم معالم الحجاز (199/5) : " قرارة أرض مرتفعة ، يسيل ماؤها الغربي في الضريبة ، والشرقي في سلحة "

([9]) واد صغير يصب في الضريبة عند مصب الحنو عند الميقات ، ويطؤه طريق الحاج .

، والتي تجاور أوطاس والضريبة من الشمال ، نحو: وادي (الخشاش) [1] وأودية الحرة التي تصب في مر من الشمال ، نحو : (أمعاء) ووادي (المحفار) و (نجار) و(حماه) ونحوها من الأودية ومن الجبال سلسة جبال الفِرس [2] ، وكذلك الجبال المفردة المميزة ، التي في طرف الحرة ، قرب وادي الضريبة ووادي مر الضريبة من الشمال والغرب ، نحو : جبل (مسُولى) [3] وجبل (الشعراء) [4] ونحو ذلك من الجبال [5] .

([1]) يحد أوطاس من الشمال .

([2]) قال البلادي (معالم مكة التأريخية والأثرية ص : 213) : " الفِرس: ينطق اليوم بكسر الفاء وسكون الراء وآخره سين مهملة ، معرف : سلسلة جبلية بين وادي بري ووادي بعج من روافد نخلة الشامية ، ممتدة من الغرب إلى الشرق حتى وادي سلحة غرب عشيرة ، وإياه لا شك عنى أبو بثينة القرمي الهذلي، بقوله :

ألا أبلغ يمانينا بأنا ... جدعنا أنف الحدرات أمس

تركناهم ولا نرثي عليهم ... كأن جلودهم طليت بورس

فأعلوهم بنصل السيف ضرباً ... وقلت: لعلهم أصحاب فِرس "

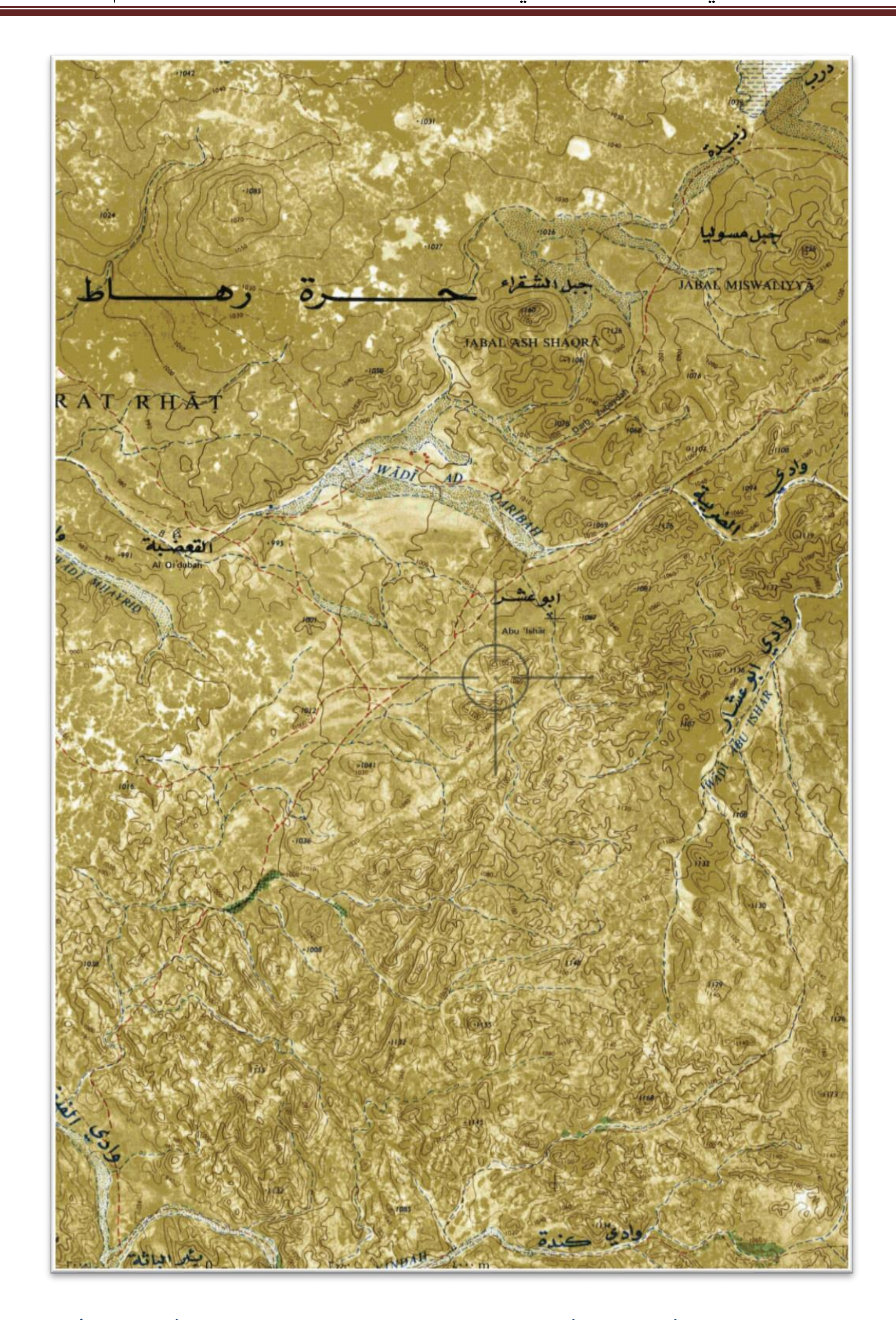
(3) أشهر جبال المنطقة ، يشرف على الضريبة وأوطاس ، جاء في معجم البلدان (5/ 130) : مَسُولا بالفتح ثم بالضم . وأنشد للمرار :

فأصبحت مهموماً كأن مطيتي .. بجنب مسولا أو بوجرة ظالع

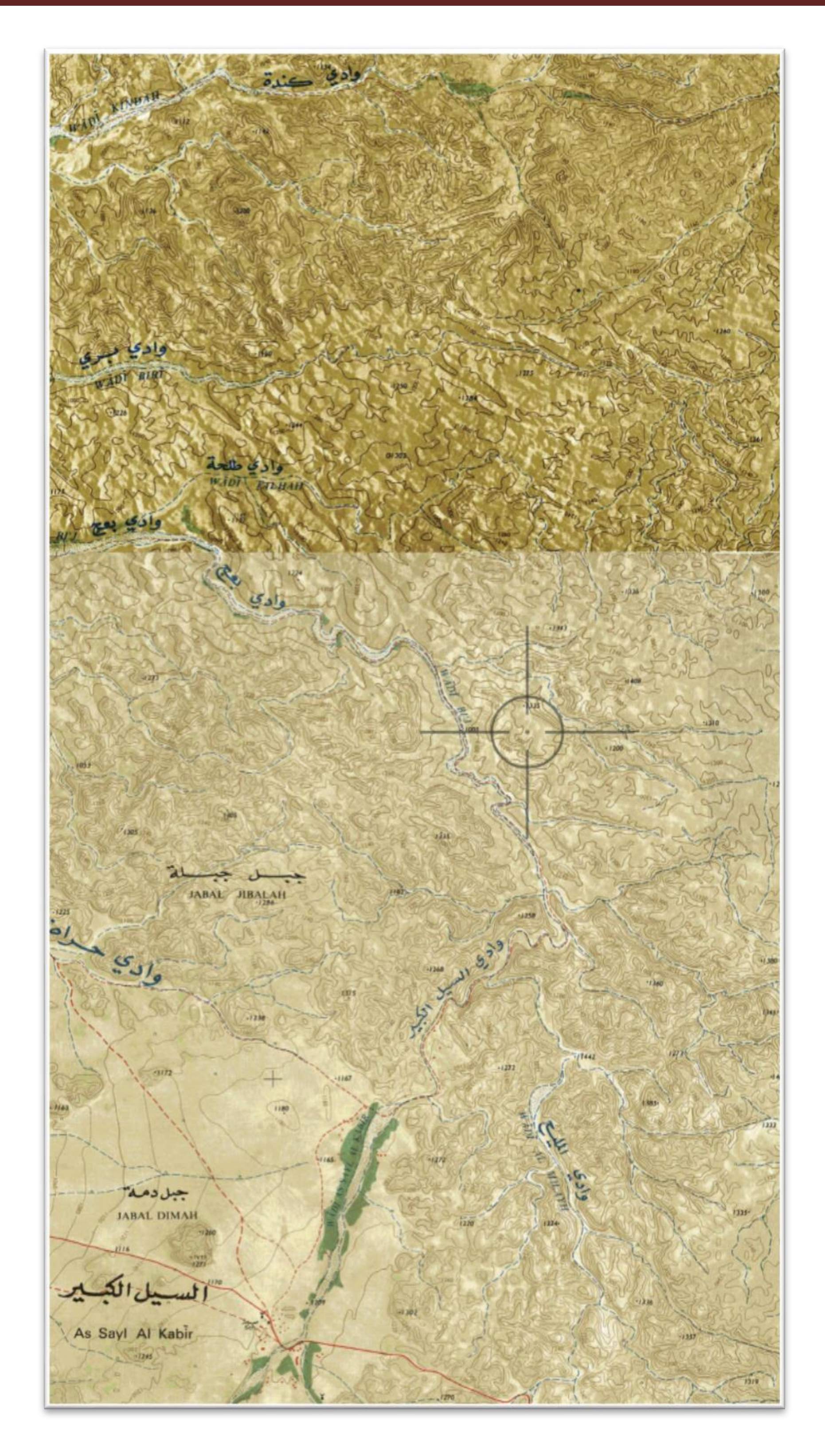
ورسمها البكري في معجم ما استعجم (2 /1229) : مسولى ، بالألف المقصورة . وقال أهل اللغة هي مسولاء ، وإذا قيل مسولى بالقصر فبسبب الضرورة في الشعر أو النثر . انظر : الخصائص لابن جني : (192/3) والمخصص لابن سيده : (492/4) . وسمعت أهل المنطقة ينطقونها : مسوليّا، بتشديد الياء .

([4]) جبل أسود شمال الضريبة ، يشرف على القعضبة . انظر : معجم معالم الحجاز (70/5) .

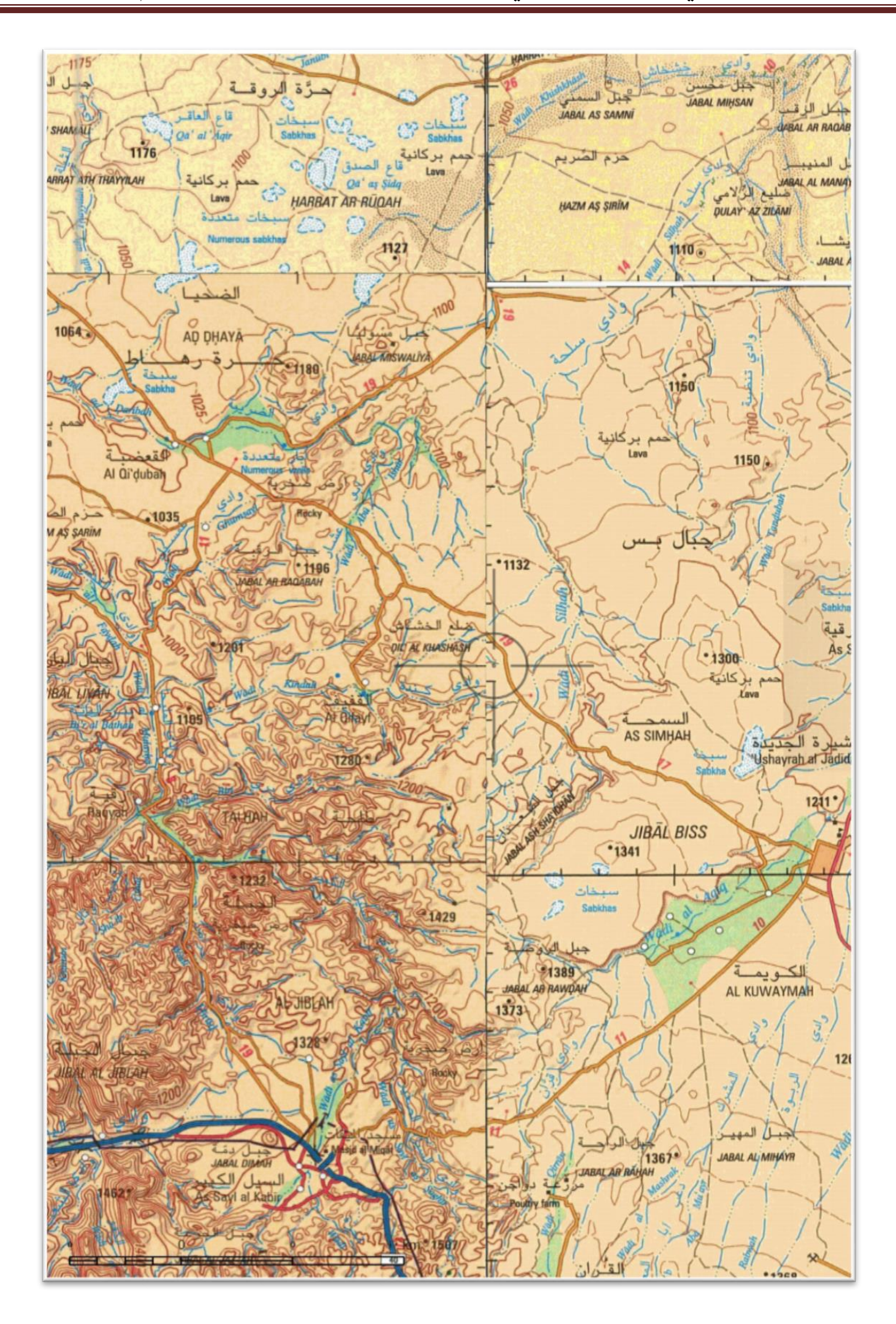
([5]) ومن القرى في هذه المواضع ، والتي يمكن أن يكون بعضها أو كلها نشأ متأخراً : (القعضبه) و(القفيف) و(أبو عشر) و (كِرس) و (الساعد) و(الصدارة) ونحوها .



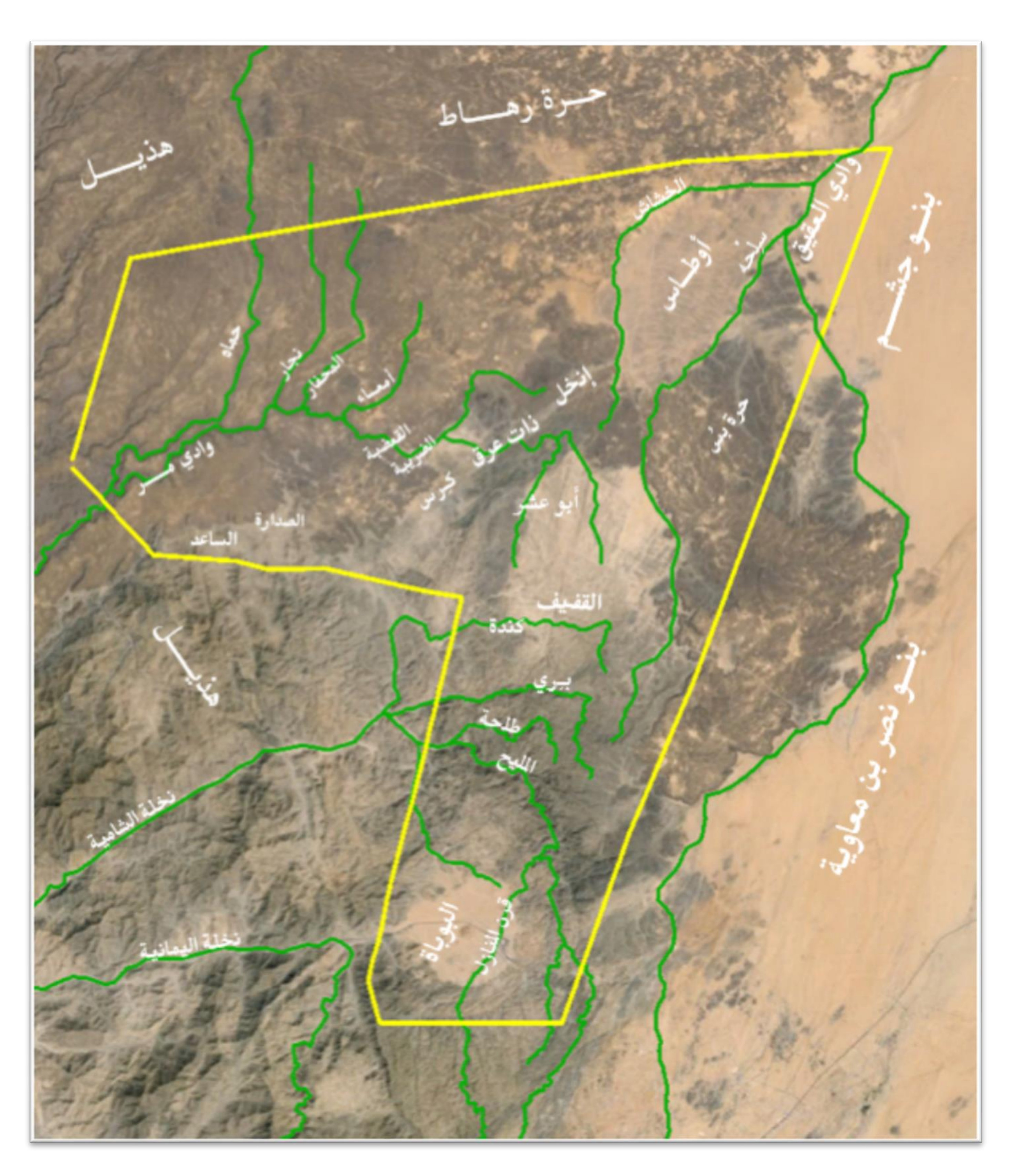
صورة من خرائط هيئة المساحة تظهر بعض ديار بني سعد الشمالية نحو : أبو عشر والضريبة والقعضبة وجبل مسولا وجبل الشعراء .



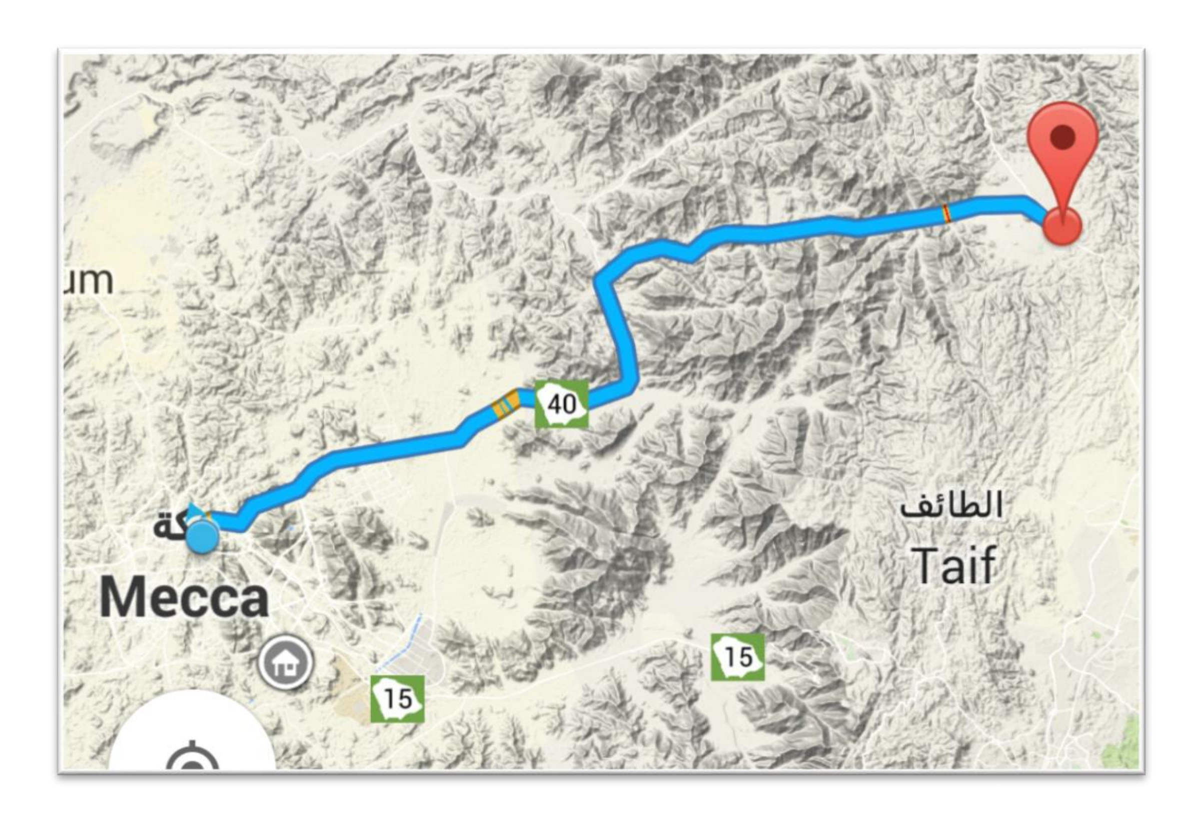
وصورة أخرى تظهر وادي قرن المنازل (السيل الكبير) والبوباة (البهيتة) إلى غربه ووادي (المليح) عند التقائه بوادي قرن المنازل ثم يصبح وادي (بعج) ثم الأودية شمالاً (طلحة وبري وكندة) .



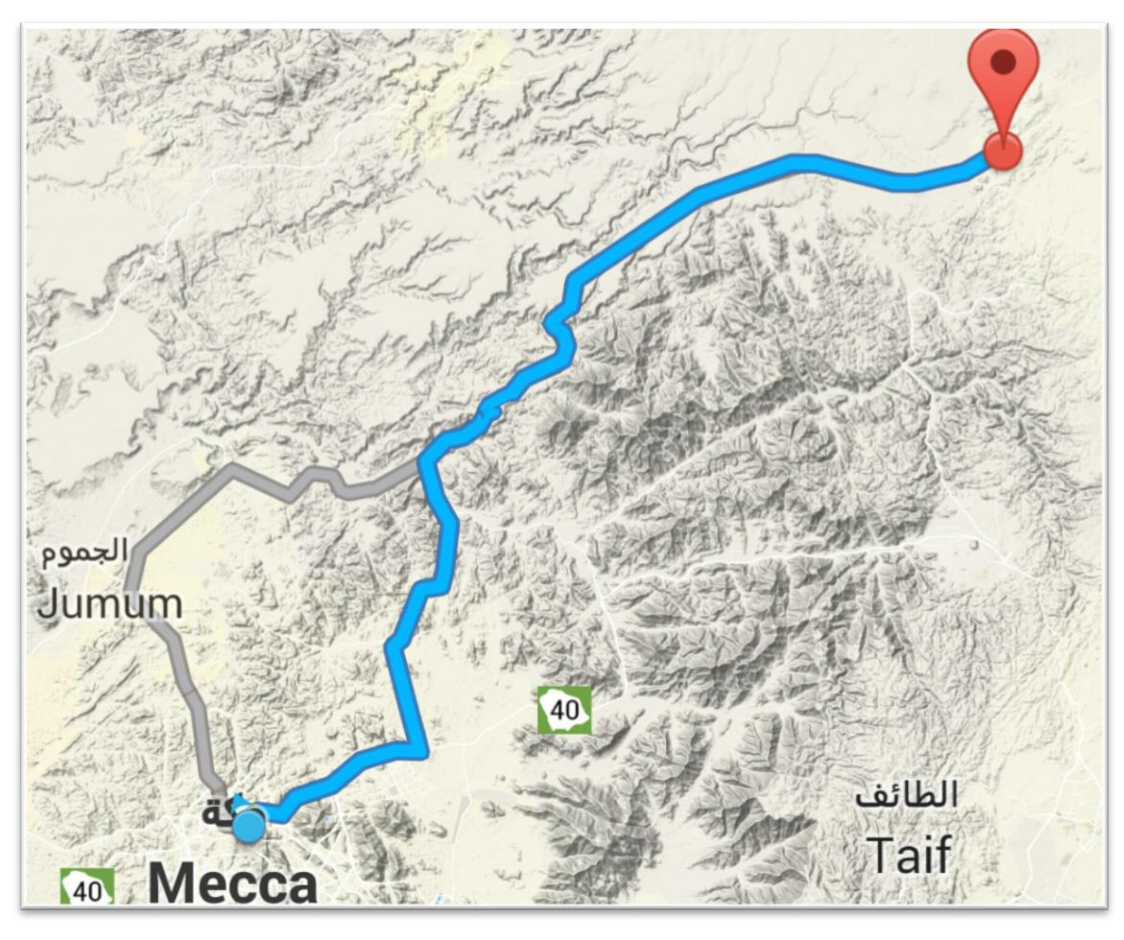
هذه صورة من خرائط هيئة المساحة ، تظهر عليها جميع ديار بني سعد بن بكر من قرن المنازل جنوباً (السيل الكبير) حتى أوطاس (حزم الصريم) ووادي العقيق شمالاً .



وهذا رسم تقريبي لديار بني سعد بن بكر على صورة فضائية من برنامج جوجل إيرث ، وهي تظهر ديارهم في شكل استطالة في الجنوب قبل أن تنداح قليلاً في الشمال .



المسافة بين مكة وقرن المنازل (السيل الكبير) وهي قرابة 80 كم .



المسافة بين مكة وذات عرق ، وهي قرابة 110 كم .

المطلب الثالث : ديار نسبت لبني سعد بن بكر ولم يثبت أنها لهم زمن البعثة :

ورد في بعض الكتب أسماء ديار نسبت لبني سعد بن بكر ، وأرى أنها لم تكن لهم في زمن البعثة على أقل تقدير ، ولا نتوقع إمكان أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ بها ، ونسبتها إليهم إما أن تكون بالخطأ وهي ليست لهم ، وإما أن يكون بنو سعد قد انتقلوا إليها في وقت لاحق بعد زمن البعثة، وهي :

أولاً : شرورى وأظلم : نسبها البكري عن ابن حبيب لبني سعد بن بكر ، قال عنها : " من منازل سعد قوم أبي وجزة " [1] وسعد قوم أبي وجزة هم سعد بن بكر . وأرى أن هذه النسبة غير صحيحة ، وسببها أنهما ذكرا في بيت لأبي وجزة السعدي يصف فيه سحاباً ، قال :

يريف يمانيه لأجزاع بيشةٍ ... ويعلو شآميه شرورى وأظلما

ومجرد ورود موضع في شعر شاعر لا يكفي لإثبات أنه من ديار قومه ، ما لم يكن هناك إمكان لهذه النسبة [2] ، وشرورى وأظلم بعيدان عن ديار سعد بن بكر ، وهما من ديار سليم ، كانا وما زالا ، وقد نسبهما لسليم الأصفهاني في بلاد العرب [3] وياقوت في معجمه [4] وكذلك أظلم عند ياقوت ، فقد ذكر أنه في ديار سليم [5] ، بل إن البكري نفسه أورد شرورى في موضع آخر من كتابه ، وقال : " جبل بين العمق والمعدن (معدن بني سليم) وهي بين بني أسد وبني عامر " [6] فلم ينسبها لبني سعد ، بل نسبها لأسد وبني عامر ،وهما ـ كما قال ـ بقرب معدن سليم . فالصواب أن شرورى وأظلم من ديار سليم ، ولم تكن من ديار بني سعد بن بكر .

ثانياً : خيف ذي القبر : وهو أسفل وادي ساية ، وقد نسبه عرّام السلمي لبني سعد دون تحديد ، حيث عدّد بعض قرى وادي ساية المشهور في ديار سليم ، ومنها قرية (الفارع)

---

(1) معجم ما استعجم : 1/ 169 .

(2) هذا أمر ثابت وواضح ، وقد يكون في شعر أبي وجزة أكثر ثباتاً ووضوحاً ؛ لأنه من حيث النسب من بني سليم ، لكن نشأ في بني سعد فانتسب إليهم بالولاء ، ثم تزوج من مزينة وجاورهم ، ففي خزانة الأدب (182/4) : " أبو وجزة إنما هو من بني سليم بالتصغير ، وإنما نشأ في بني سعد فغلب عليه نسبهم " ويقول الأصفهاني في الأغاني (12/ 79 ، 86) : " وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم ، وأصله من سليم من بني ضبيس ... كان أبو وجزة قد جاور مزينة وانتجع بلادهم لصهره فيهم "
لذا يكثر في شعره مواضع بعيدة عن ديار بني سعد بن بكر ، وأغلبها حول المدينة من الجنوب والشرق ، وخصوصاً حول وادي العقيق بالمدينة .

(3) بلاد العرب : 147 .

(4) معجم البلدان : 3 / 339 .

(5) معجم البلدان : 2 / 37 .

(6) معجم ما استعجم : 2/ 794 .

وقرية (مهايع) و(خيف سلام) ثم قال : " وأسفل من ذلك خيف ذي القبر ، وبه نخل وموز ورمان ، وسكانه بنو مسروح وسعد وكنانة " [1] . ولم يذكر من سعد هؤلاء ؟ لكن ذكرهم البكري ، ونص على أنهم سعد هوازن [2] .

والأولى أن يقال إن هذه النسبة غير صحيحة ، وأن خيف سلام هذا ليس لبني سعد بن بكر ؛ لأن وادي ساية ـ كما هو معلوم ـ لبني سليم ، وهو بعيد عن ديار بني سعد ، وبينهم وبينه أودية وديار لقبيلة هذيل . وإمكان انتقال طائفة من بني سعد لهذا الموضع ، وسكناها واستقرارها هناك في زمن عرام وارد .

لكن الذي يمكن القطع به هو أن خيف ذي القبر هذا ، ووادي ساية بصفة عامة ، لم يكن من ديار بني سعد بن بكر زمن البعثة ؛ لأن هذا الوادي لسليم ؛ ولأن بين ديارهم السابق ذكرها وبين هذا الوادي قبيلة هذيل في رهاط وما حولها ، وبالتالي فهذا الموضع ـ على التسليم بإمكان أن يسكنه بعضبني سعد في زمن متأخر ـ إلا أنه لا يتعلق بموضوع البحث ، المخصص لديار بني سعد زمن البعثة ، لذا لم نورده ضمن ديار بني سعد بن بكر السابقة .

ثالثاً : رهاط وضعاضع والحديبية : فقد ورد نص عن عرّام السلمي نقلته كتب البلدان ، وفيه : " ويطيف بشمنصير من القرى قرية كبيرة يقال لها رهاط ، وهي بوادي يسمى غُران ... وبغربيه قرية يقال لها (الحديبية) ليست بالكبيرة ، وبحذائها جبل يقال له (ضُعاضِع) ، فهؤلاء القريات لسعد وبني مسروح ، وهم الذين نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، ولهذيل فيها شيء " [3] .

وأرى أن هذا النص كسابقه ، فإن وادي رهاط في زمن البعثة لهذيل ، لكن يمكن أن يكون بعض بني سعد بن بكر انتقل إليه في زمن متأخر ، وإمكان حصول هذا الانتقال هنا أكثر قبولاً من سابقه ؛ لأن وادي رهاط وما حوله مجاور لديار بني سعد السابقة ، وهو يحدها من الغرب ، واحتمال انتقال بني سعد إليه وسكناهم فيه ، احتمال وارد وبقوة ، يؤيده أنه لا يوجد أحد من هذيل في رهاط في الوقت الحاضر . إلا أن الذي نقطع به هو أن هذا الوادي في زمن البعثة كان من ديار هذيل ، قال ياقوت : " وادي رهاط في بلاد هذيل " [4] .

وقد تكرر ذكر رهاط في مواضع كثيرة من شعر هذيل ، وكانت هذيل قد اتخذت فيه صنم سواع ، حتى قيل [5] :

---

(1) نوادر المخطوطات : 2 / 414 .
(2) معجم ما استعجم : 2/ 787 .
(3) نوادر المخطوطات : 2 / 410 . وانظر معجم ياقوت : 3 / 459 .
(4) معجم البلدان : 3 / 107 .
(5) تاج العروس : 11 / 230 .

تراهم حول قيلهم عكوفاً ... كما عكفت هذيل على سواع

يظل جنابه برهاط صرعى ... عتائر من ذخائر كل راع

وفي صحيح البخاري : " عن ابن عباس رضي الله عنهما : صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ ، أما وَدّ كانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سُواع كانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد " [1] .

وأيضاً فإن وادي (غُران) الوارد في نص عرّام السابق لهذيل ، وخبر غزوته صلى الله عليه وسلم لبني لحيان من هذيل في وادي غران مذكور في السيرة ، وفيها : " فأغذ السير حتى نزل على غران ، وهي منازل بني لحيان ... " [2] .

أمّا الحديبية الواردة في النص فقد أشكلت على البلادي ـ رحمه الله ـ حتى شنّع على عرّام بسببها ، وذكر أنها من أخطائه الكثيرة ، ووصفه في مواضع من كتابه بأنه وهّام جهّام ، والحقيقة أن عرّاماً لا يستحق كل هذا ، وقوله إن بني سعد بن بكر وجدوا في هذه المواقع في زمنه (القرن الثالث) لا إشكال عليه ؛ لأن هذا يمكن أن يكون حدث في زمن متأخر ، وهذه المواضع حول رهاط مجاورة لديار سعد بن بكر السابق ذكرها . إلا أن الإشكال حصل للبلادي بسبب الحديبية ؛ لأن البلادي ظنه يقصد الحديبية المشهورة غرب مكة (الشميسي) وهي ليست من ديار بني سعد بن بكر بالتأكيد ، لكن الحقيقة أن عراماً لم يقصد الحديبية هذه ، بل قصد قرية صغيرة بين عسفان ومر الظهران (وادي فاطمة) ، وقد وصفها في موضع آخر من كتابه بقوله : " ثم إن فصلت من عسفان لقيت البحر ، إلا من أودية مسمّاه بينك وبين مر الظهران ، يقال لوادٍ منها مسيحة ، ووادٍ يقال له مدركة ، وهما واديان كبيران ، بهما مياه كثيرة ونخيل ، منها ماء يقال له الحديبية بأسفله ، يصبان من رؤوس الحرة مستطيلين إلى البحر ، ثم مر الظهران .. " [3] . فجعل الحديبية قرية أسفل مدركة ، بين عسفان ومر الظهران ، فلا علاقة لها بالحديبية المعروفة ، وإنما هو توافق أسماء .

---

(1) صحيح البخاري : رقم : 4636 . وقد نقل ياقوت في معجمه (276/3) عن أبي المنذر التشكيك في اتخاذ هذيل لسواع بقوله: " ولم أسمع لهذيل في أشعارها له بذكر إلا شعر رجل من اليمن ، ولم يذكره ابن الكلبي " ونحوه عند البلادي في معجم السيرة (144) بقوله : " وأشك أنا في كون سواع في رهاط ، للأسباب التالية : أولاً : رهاط في آخر أطراف ديار هذيل الشمالية ، ومن عادة الناس أن يتخذوا معابدهم في أواسط ديارهم . ثانياً : توجد العزى على شهرتها وولعهم بها في وسط ديار هذيل تقريباً ، وليست بعيدة عن رهاط ، فلا شك أنه كان فيها غناء لهذيل . ثالثاً : رهاط حديد ديار سليم ، فلو كان فيه صنم لاتخذه بعض السلميين جيرانه ، ولم نسمع بمثل هذا "
قلت : النص في المتن عن ابن عباس رضي الله عنهما في صحيح البخاري ، والنصوص ترادفت بهذا ، ومنها ماورد في (وفاء الوفاء : 85/4) عن راشد بن عبد ربه قال: " كان سواع بالمعلاة من رهاط يدين لها هذيل وبنو ظفر من سليم " .
(2) سيرة ابن هشام : 2 / 280 .
(3) نوادر المخطوطات : 2/ 415 . مع ملاحظة أن وادي مسيحة يصب في غران ، ووادي مدركة هو أعالي وادي الهدة .

وهناك نصوص أخرى من كتابه تؤيد هذا الفهم ، كقوله : " والحديبية إلى مكة مرحلة وميل أو ميلان " [1] والحديبية المعروفة (الشميسي) أقل من مرحلة ، وأقرب مرحلة من مكة هي مر الظهران ، والحديبية التي يقصدها عرام بعد مر الظهران بميل أو ميلين . فكأنه يقصد قرية في محيط وادي الهدة (هدى الشام) .

ووجود بني سعد بن بكر هنا وارد ؛ لأنه موضع قريب من ديارهم السابقة ، لكن لو حدث هذا فيكون حدوثه في زمن متأخر عن البعثة ؛ لأن هذه المواضع كانت أعاليها زمن البعثة من ديار هذيل وأسافلها من ديار خزاعة .

وكذلك يقال في شأن (ضعاضع) الوارد في النص ، وقد ورد في وصفه أنه جبل صغير ، وعنده حبس كبير يجتمع فيه الماء ، وهو قريب من قرية الحديبية السابقة [2] .

فإذا علم هذا فلا وجه للإنكار على عرام في هذا النص ، فهو يذكر مواضع قريبة من ديار بني سعد وبعضها مجاور لهم ، واحتمال وصولهم لها لاحقاً وارد . بل بعضها ورد في شعر أبي وجزة السعدي ، وهو يعدد ديارهم ، وهو (ضعاضع) حيث يقول [3] :

فبحرة مسحو مائه فضعاضع .. فصوتة ذات الرياح والمنادح

رابعاً : فدك : ذَكرت كثيرٌ من كتب السير والتأريخ ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث سرية ، بقيادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، إلى بني سعد بن بكر بفدك ، وهذا منقول عن الواقدي وابن سعد وغيرهما ، حيث نقل الطبري عن الواقدي : " حدثني عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عقبه ، قال : خرج علي بن أبي طالب في مائة رجل إلى فدك ، إلى حي من بني سعد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسول الله أن لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر" [4] فنسب هذه الرواية للواقدي ، ومثله عند البيهقي حيث قال : " قال الواقدي: حدثنا عبد الله بن جعفر عن يعقوب بن عتبة ، قال : خرج علي رضي الله عنه في مائة رجل إلى فدك ، إلى حي من بني سعد بن بكر .. " [5] ، وهذا أيضاً هو قول ابن سعد في طبقاته ، حيث يقول : " ثم سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفدك ، في شعبان سنة ست

---

(1) المصدر نفسه .

(2) معجم البلدان : 3 / 495 ، ولم أعثر على من يعرف هذا الجبل الآن .

(3) شعر أبي وجزة : 54 .

(4) تاريخ الطبري : 2/ 642 .

(5) دلائل النبوة : 84/4 . فنسب هذه الرواية للواقدي أيضاً ،وفي مغازي الواقدي (562/2) : " حدثني عبد الله بن جعفر، عن يعقوب بن عتبة، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً عليه السلام في مائة رجل إلى حي سعد بفدك" وليس فيه ذكر لبني سعد بن بكر ، فلعله سقط من المطبوع .

من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم " [1] وتكرر هذا القول في كثير من كتب التاريخ والسيرة [2] .

ولم أعثر على من علّق على هذه الرواية ، وهي غريبة ؛ لأنها توحي بأن لبني سعد بن بكر موضعاً بفدك أو بقربها ، وليس الأمر كذلك ، فإن ديار بني سعد بن بكر بن هوازن تبعد عن أرض فدك قرابة 500 كم [3] ، ولا يُتصور أن لبني سعد بن بكر موضعاً هناك ، أو أنهم يصلون إلى هنا لمؤازرة اليهود أو غيرهم .

وسرية علي رضي الله عنه إلى فدك ذكرها ابن اسحق بإيجاز ، ولم يذكر بني سعد بن بكر ، بل قال : بني عبدالله بن سعد ، جاء في سيرة ابن هشام : " قال ابن إسحاق : وغزوة على بن أبي طالب رضى الله عنه ، إلى بني عبدالله بن سعد من أهل فدك " [4] ومثله في مستخرج أبي عوانة ، وتاريخ خليفة بن خياط [5] .

ولعل هذا هو الصواب وأن المقصود بني عبدالله بن سعد ، وليس بني سعد بن بكر ، أو أن المقصود هم بنو سعد آخرون غير بني سعد بن بكر ، ويوجد في قبيلة بني أسد المجاورة لفدك فرع يدعى بنو سعد ، وهم : بنو سعد بن ثعلبة بن دودان ، وبنو سعد بن الحارث بن ثعلبة بن دودان [6] ، قال ابن عبد البر : " وفي بني أسد بن خزيمة بنو سعد بن الحارث ، وفيهم جرى المثل : في كل واد بنو سعد بن الحارث .. " [7] .

خامساً : وأخيراً فهناك مواضع وردت في قصيدة لأبي وجزة السعدي ، ذكر فيها منازل لقومه ، بعضها مما سبق ذكره ، وبعضها لم أذكره ؛ لأني لم أعرف عنه شيئاً ؛ مما يعني حاجة هذه المواضع إلى تحقيق وبحث ، ولا أعرف موقعاً منها قريباً من ديار قومه ، أو يشتبه أنه لهم ، وهذه المواضع هي (أوساف) و(الأعوص) [8] و (بينة) و(الروضات) و(المقازح) و(الثنية) و (بحرة) و (صوته) .

والأبيات التي فيها هذه المواضع هي [9] :

وهيّج أحزاناً عليّ وعبرةً ... مغاني ديارٍ من جديد وماصحِ

---

(1) الطبقات الكبرى : 2/ 69 .

(2) انظر على سبيل المثال : عيون الأثر : 150/2 ، سبل الهدى والرشاد : 6/ 97 ، السيرة الحلبية : 3/ 257 .

(3) تقع فدك شرق حرة خيبر ، وجنوب غرب حائل ، وتسمى الآن الحائط .

(4) السيرة النبوية : 6/ 22 .

(5) مستخرج أبي عوانة : 4/ 362 ، تاريخ خليفة بن خياط : ص : 79 .

(6) انظر : أنساب الأشراف : 178/11 ، جمهرة أنساب العرب : 194 .

(7) الإنباه على قبائل الرواة : 51 ،

(8) قال ياقوت : الأعوص : شعب لهذيل بتهامة: (231/1) .

(9) المصدر نفسه .

عفت مر من أحياء سعدٍ فأصبحت ... بسابس لا نارٌ ولا نبحُ نابح

فأجراع (أوساف) (فأعوص) كلُّه ... (فبينة)(فالروضات) حتى (المقازح)

كأن لم يكن بين (الثنية) منهم ... (وتقتد) حزم من غريب ورائح

(فبحرة) مسحُ مائه (فضعاضع) ... (فصوته) ذات الربا والمنادح

فهذه المواضع بعضها سبق الحديث عنه ، وهي : وادي (مر) و(تقتد) وأيضاً (ضعاضع) وبعضها لم أتبينها بعد ، وبعضها ألفاظها غير واضحة ، ولم يظهر لي دليل على أن واحداً منها يمكن أن يكون من ديار بني سعد بن بكر في زمن البعثة .

وأخيراً فإن هذه المواضع المذكورة في هذا المطلب لا تدخل في موضوع هذا البحث ، فهو مخصص لمعرفة ديار بني سعد زمن البعثة ، والتي يحتمل أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نشأ واسترضع فيها ، وهذه ليست منها ، وإنما ذكرناها هنا لئلا تشتبه مع ديارهم السابقة التي أثبتتها النصوص [1] .

بقي أن يقال : إذا عرفنا موقع قبيلة بني سعد بن بكر في زمن البعثة ، وعرفنا القبائل التي تجاورها ، وعرفنا الديار والمواضع التي تخص قبيلة بني سعد في ذلك الزمان ، فقد بقي السؤال الأخير وهو : في أي هذه المواضع من ديار بني سعد نشأ واستُرضِع الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

الجواب عن هذا السؤال هو موضوع المبحث الثاني .

[1] ذكر البكري نصين لموضعين قد يُظن أنهما لبني سعد بن بكر :
الأول : قوله في معجمه (250/1) في رسم (بسيان) : " جبل فى ديار بنى سعد ، قال ذو الرّمّة :
سرت من مِنى جنح الظلام فأصبحت ... ببسيان أيديها مع الفجر تلمع "
ولم يذكر من هم بنو سعد الذين يريد ، لكن استشهاده ببيت ذي الرمة يوحي بأنه يقصد سعد تميم . وقد يُظن أنه يقصد سعد بكر ؛ بدليل قرب ديارهم من هذا الموضع ، والصواب أن بسيان ليس لسعد تميم ولا لسعد بكر ، بل هو من أرض بني نصر وبني جشم ابني معاوية كما تقدم . وقد ذكر الزمخشري أنها لبني جشم خاصة (الجبال والأمكنة والمياه ص : 73) .
الثاني : قوله في رسم حمامة (267/2) : " على لفظ الطائر : ماء لبنى سعد بن بكر بن هوازن ، بأبرق العزّاف " وهذا بعيد جداً ، وأبرق العزاف كما في كتب المواضع من ديار بني أسد (معجم البلدان : 68/1) ، فلعله قصد بني سعد من بني أسد . وحمامة قيل لبني سعد من تميم وقيل لبني سليم (معجم البلدان :2/ 299) وأشار ابن بليهد لموضع حمامة وقال في كتابه (صحيح الآثار : 234/3) : " تحمل هذا الاسم إلى هذا العهد ، بين الخفس والبويب ، واد فيه آبار ليس بها ماء كثير " .

المبحث الثاني : تحديد المواضع التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم من ديار بني سعد بن بكر :

هذا المبحث هو خاتمة البحث وغايته وهدفه ، وما كان الوصول إليه ممكناً إلا بعد دفع شبهة نشأته صلى الله عليه وسلم في السراة جنوب الطائف من جهة ، وبعد التعرف على ديار قبيلة بني سعد بن بكر زمن البعثة على سبيل الإجمال ، وبعد التأكد من نسبة هذه الديار لهم ، وتقاربها وتجاورها ، وعدم تعارضها مع ديار جيرانهم من القبائل الأخرى .

والآن وبعد الوصول لهذه المرحلة من البحث ، يمكن الإجابة عن السؤال السابق ، ومعرفة أين نشأ الرسول صلى الله عليه وسلم من تلك الديار ؟ وبيان ذلك في ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الآراء في تحديد موضع نشأته صلى الله عليه وسلم ، وبيان الراجح منها .

المطلب الثاني : تحديد موضع أوطاس .

المطلب الثالث : الروايات التي ذكرت وادي (السرر) وحقيقتها .

المطلب الأول : الآراء في تحديد موضع نشأته صلى الله عليه وسلم ، وبيان الراجح منها :

يمكن تلخيص أربعة أقوال وآراء ، وهي كالتالي :

أولاً : الرأي الذي يقول إنه صلى الله عليه وسلم نشأ جنوب الطائف ، في سراة بني سعد المعروفة الآن ، ولدى قبيلة الذويبات على سبيل الخصوص . ولا توجد حجة ظاهرة تدعم هذا الرأي ، وقد خصص المبحث الأول بكامله لمناقشة هذا الرأي والجواب عنه ، فلا نعيد مناقشته هنا .

ثانياً : الرأي الذي يقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في الحديبية (الشميسي) وأول من رأيته يصرح بهذا هو الزركلي في كتابه الأعلام ، فقال عند حديثه عن ترجمة حليمة السعدية ، ونشأة الرسول صلى الله عليه وسلم عندها : " ونشأ في بادية بني سعد في الحديبية وأطرافها " [1] .

والزركلي يقصد بالحديبية الموضع المشهور الذي وقع فيه صلح الحديبية ، والمعروف الآن (بالشميسي) وهذا الموقع كما هو ثابت زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن من ديار بني سعد بن بكر ، بل من ديار خزاعة ، وخبر إتيان بديل بن ورقاء الخزاعي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يوم نزل الحديبية معروف [2] . وبين الحديبية هذه وديار بني سعد بن بكر - السابق ذكرها - يوجد ديار خزاعة في (مر الظهران) وديار هذيل في (النخلتين) فلا سبيل إلى القول بنشأته صلى الله عليه وسلم هنا .

ولعل السبب الذي جعل الزركلي يقول بهذا القول - الذي لم أطلع على من سبقه إليه - هو النص الذي تناقلته الكتب عن عرام السلمي ، والذي سبق الحديث عنه ، وفيه قوله عن رهاط والقرى المجاورة له : " وبغربيه قرية يقال لها (الحديبية) ليست بالكبيرة ، وبحذائها جبل يقال له (ضعاضع) ، فهؤلاء القريات لسعد وبني مسروح ، وهم الذين نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم " [3] فاعتقد الزركلي أن عراماً يقصد الحديبية هذه ، فقال إن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في الحديبية ، وظن أن ديار بني سعد بن بكر هي هذه الديار (الشميسي) فقال عند حديثه عن بني سعد بن بكر الجد : " وكانت منازل بني

---

(1) الأعلام : 2 / 271 .
(2) مسند أحمد ، برقم : (43141) .
(3) نوادر المخطوطات : 2/ 410 .

سعد بن بكر الحديبية وأطرافها " [1] وقال في ترجمة حليمة : " زوجة الحارث بن عبد العزى السعدي من بادية الحديبية " [2] .

وقد سبق لنا مناقشة هذا القول لعرّام ، ونفينا عنه التشنيع الذي قاله البلادي ؛ بسبب هذا النص ، مع تحديد الحديبية التي يريدها عرّام ، وأنها ليست هذه ، وإنما هي قرية صغيرة قريبة من مدركة ، ثم إن عراماً لم يقل إن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ هناك ، بل قال إنها من ديار بني سعد الذين نشأ فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وديار بني سعد الذين نشأ فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة ، وليست هذه فحسب . فالقول بنشأة الرسول صلى الله عليه وسلم في خصوص هذا الموضع زيادة من الزركلي واستنتاج غير صائب .

وعليه فالقول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في بادية الحديبية وأطرافها بعيد ، ولا دليل يعضده ؛ لأن الحديبية هذه ليست من ديار بني سعد بن بكر ، بل من ديار خزاعة .

ثالثاً : والرأي الثالث هو القول بأن الديار التي كان ينزلها بنو سعد بن بكر هي : (قرن المنازل ، والبوباة ، وما حولهما) وأن الراجح أن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في هذه الديار ، وأن ذات عرق وأوطاس من الديار التي قد ينتجعها بنو سعد بن بكر ، ورأيت الدكتور عياد الثبيتي ـ في محاضرته التي ألقاها في نادي الطائف الأدبي ـ يميل إلى هذا القول ، فهو يقول في تحديد ديار بني سعد : " ولعل فيما قدمت مالا يدع شكاً في أنَّ البوباة ـ البهيتاء ـ وقرن المنازل ـ السيل ـ هي ديار بني سعد بن بكر منذ القدم ، ولعلّ من ديارهم مواضع أخرى قريبة منها ، كالمناقب ، والمُلَيْح ... ولست أَدَّعِي أن مكان رضاعة النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المواضع ، وإن كان ذلك الراجح ؛ لقول أمه حليمة : (ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد) " [3] . وقال بعد أن نقل بعض النصوص عن (ذات عرق) و(أوطاس) : " تلك كانت مما ينتجعه بنو سعد بن بكر " [4].

وهذا القول ـ في نظري ـ مجمله صحيح ، من حيث إنه يشير إلى احتمال أن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في أغلب ديار بني سعد ، وهي ليست بالمتباعدة ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يستقر معهم إذا استقروا ، وينتجع معهم إذا انتجعوا .

---

(1) الأعلام : 3 / 84 .
(2) المصدر نفسه : 2 / 271 .
(3) بنو سعد فروعهم وديارهم ، مجلة العرب ، عدد 403 ، ص : 32
(4) المصدر نفسه : 33 .

إلا أن الظاهر من كلام الدكتور عياد أنه يرى أن الأصل أن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في منازل استقرار بني سعد ، وهي في نظره قرن المنازل وما حوله ، وقد ينتقل معهم إذا انتجعوا إلى ذات عرق أو أوطاس .

ولعل الصحيح ـ في نظري ـ هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في بادية بني سعد وفي ديار انتجاعهم ، وقد يستقر معهم في بعض الأوقات إذا استقروا ـ كما سيأتي ذكره ـ وأيضاً فإن ذات عرق من مواضع الاستقرار لبني سعد بن بكر ، وليست من مواضع الانتجاع ، وقد وردت نصوص تصف ذات عرق بأنها كانت موطن استقرار وزراعة ، وقد جاء في الروض المعطار : " ذات عرق بقرب أوطاس ، وبينها وبين وجرة سبعة وعشرون ميلاً ، وذات عرق ميقات أهل العراق ، وهو منزل كثير الأهل والشجر "[1] .

رابعاً : والذي يترجح ـ في نظري ـ هو القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في بادية بني سعد بن بكر ، وأقرب موضع يصح أن يوصف بأنه موضع بادية وانتجاع من ديار بني سعد بن بكر ـ التي تم تحديدها سابقاً ـ هو شرق ذات عرق ، في أوطاس إلى أطراف وادي العقيق وما حولهما .

فهذا هو ما ترجح في نظري ؛ فإن أوطاس هي الموضع الأقرب إلى صفة البادية والانتجاع ، وهي الأرض الواسعة الصالحة للرعي ، وهي ما يمكن تسميته بنجد بني سعد ، وهي المقصودة بعبارة الأصفهاني السابقة عن بني سعد : " ربما جلسوا إلى فروع نجد " وهي أيضاً الموضع الذي تؤيده النصوص والدلائل القليلة الواردة في تحديد موضع نشأته صلى الله عليه وسلم من أرض بني سعد. وسأذكر أربعة أدلة لهذا القول ، وهي :

الدليل الأول :

نقل ياقوت عند الحديث عن نخلة اليمانية قول أبي زياد الكلابي : " نخلة واد من الحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين ، إحدى الليلتين من نخلة يجتمع بها حاج اليمن وأهل نجد ، ومن جاء من قبل الخط وعمان وهجر ويبرين ، فيجتمع حاجهم بالوباءة [2] وهي أعلى نخلة ، وهي تسمى نخلة اليمانية ، وتسمى النخلة الأخرى الشامية ، وهي التي تسمى ذات عرق ، وأما أعلى نخلة ذات عرق فهي لبني سعد بن بكر الذين أرضعوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهي كثيرة النخل .. " [3] .

فهذا النص لم يصرح أن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ هنا ، إلا أن فيه تلميحاً قوياً على أنه صلى الله عليه وسلم نشأ في هذه الناحية من ديار بني سعد ، فديار بني سعد

---

(1) الروض المعطار في خبر الأقطار : 256 .

(2) الوباءة خطأ ، وصوابه : البوباة (البهيتة) فهي أعلى نخلة اليمانية .

(3) معجم البلدان : 5 / 278 .

الرئيسة هي رؤوس النخلتين وما جاورهما ، وأبو زياد ذكر رؤوس النخلتين هنا ، فذكر رأس نخلة اليمانية (البوباة) ومعلوم أن البوباة ـ مع قرن المنازل بجوارها ـ هي ديار بني سعد بن بكر الجنوبية ، ثم ذكر رأس نخلة الشامية (ذات عرق) ثم قال : " فهي لبني سعد بن بكر الذين أرضعوا رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم " وهو ما لم يقله في البوباة ، فبنو سعد الذين أُسترضع الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم ليسوا كل القبيلة ، بل طائفة منهم ، وهذا النص يشير إلى هذه الطائفة ، وأنها أهل ذات عرق ، وهي يوحي بأن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ شمال ديار بني سعد وليس جنوبها أي : جهة ذات عرق .

إلا أن هذا النص يذكر أيضاً أن ذات عرق " كثيرة النخل " أي : أرض زراعة واستيطان ، ومعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في أرض بادية بني سعد ، فلابد من البحث عن أرض بادية وانتجاع لأهل ذات عرق ، وقريبة منهم .

الدليل الثاني :

جاء في صحيح ابن حبان وغيره خبر قدوم حليمة بابنها إلى ديار قومها ، وفيه : " حتى قدمنا منازلنا من حاضر بني سعد بن بكر فقدمنا على أجدب أرض الله .. " [1] ، فقولها (منازلنا من حاضر بني سعد) يدل على أنها قدمت إلى أرض حاضرة ، أي : مستقرة . وتقدم أن حليمة السعدية كانت من بادية بني سعد ، وأن عملها الذي كانت تمارسه هو الرعي ، كما هو ثابت في أكثر من أثر ، إلا أن قومها ـ كما هو ظاهر هذا النص ـ كانوا حاضرة وبادية ، يستقرون وينتجعون بحسب الحاجة ، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في شمال ديار بني سعد كما تقدم ذكره ، فإن مواضع استقرار بني سعد في شمال ديارهم ، هي ذات عرق وما حولها ، ومواضع انتجاعهم هي أوطاس وما حولها .

والغالب على حليمة وذويها أنها كانت من بادية قومها ، وفي مواضع انتجاعهم ، وقد ذكر ابن هشام وغيره ، خبر قدوم حليمة بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى أرض قومها وفيه : " ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمي تروح عليّ ـ حين قدمنا به معنا ـ شباعاً لبناً ، فنحلب ونشرب . وما يحلب إنسان قطرة لبن ، ولا يجدها في ضرع ، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب "[2] فقولها : (كان الحاضرون من قومنا) يفيد أن في قوم حليمة حاضرة وبادية ، وأن حليمة من البادية ، وليست من الحاضرة ؛ بدليل قولها : (الحاضرون من قومنا) ، فهو يفيد أنها ليست منهم ، وإذا لم تكن منهم فإنها من أهل مواضع انتجاعهم ، وهي كما تقدم أوطاس وما حولها .

([1]) صحيح ابن حبان : 243/14 ، وانظر : مسند أبي يعلى : 324/6 .
([2]) سيرة ابن هشام : 164/1 .

الدليل الثالث :

نقل إبراهيم الحربي تلميذ الإمام أحمد قولاً بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يُرضع في أوطاس ، فقال في كتاب المناسك وطرق الحج المنسوب له : " وأوطاس بها قصور ، وأبيات ، وحوانيت ، وبركة يَسْرَة . ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُرضع في تلك الناحية " [1] .

وقد أنكر البلادي على الحربي هذا القول ؛ لأن هذه الديار كما قال : " ليست ديارهم ، وإنما ديارهم كانت رؤوس النخلتين ، كما هي اليوم ديار بعضهم "[2] ، وكأنه يرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في رؤوس النخلتين فقط [3].

قلت : بل الراجح أن هذا القول الذي نقله الحربي صحيح ، وأن الغالب أن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في بادية بني سعد بن بكر ، في فروع نجد ، في أوطاس وما حولها ، ويؤيد ترجيح هذا النقل الآتي :

1/ أن هذا النص ـ حسب اطلاعي ـ هو النص الوحيد الذي وصل إلينا ينص على الموقع الذي نشأ فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن عالم ومحدث ومجتهد له مكانته العلمية [4] .

2/ أن هذا النص قديم ، وقريب عهد بزمن الرسول صلى الله عليه وسلم (توفي الحربي عام 285 هـ) والحربي قد قرأ هذا القول أو سمعه ، والغالب أنه سمعه من أهل الموضع ؛ يدل على هذا قوله في النص (يقال) وبدليل إيراده للنص عند حديثه عن أوطاس ، وأهل الموضع أعرف بموضعهم ، وقولهم أقرب إلى القبول ، والغالب أنه كان شائعاً بينهم متوارثاً ؛ لأهميته عندهم ، والعهد ليس ببعيد .

3/ أن الظاهر المعلوم أن حليمة السعدية وأهلها من البادية ، وليسوا من أهل الاستقرار ، بدليل أن النصوص ترادفت على أن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في بادية بني سعد ، والنصوص تؤكد أيضاً أنهم رعاة وأصحاب غنم ، وحين كان الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم كان يساعدهم ويرعى البهم معهم ، كما في الأثر الذي سبق نقله في قصة شق الصدر ، وفيه " واسترضعت في بني سعد بن بكر ، فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهماً لنا

---

(1) المناسك : 347 .

(2) معجم معالم الحجاز : 1 / 154 .

(3) هذا القول يصلح أن يكون قولا خامساً لكن لم أنص عليه ؛ لأن البلادي لم يصرح به ، وإنما أورده في الإنكار على الحربي ، ثم أورد كل ديار بني سعد في نظره ، ولم يحدد موضعاً منها ، ومعلوم أن الرسول صلى الله عله وسلم نشأ في ديار بني سعد عموماً .

(4) نسب الشيخ حمد الجاسر محقق كتاب المناسك ، هذا الكتاب للإمام الحربي ، ثم قامت شكوك حول هذه النسبة ، وأن الصحيح أنه من تأليف القاضي وكيع . وسواء قلنا هو للحربي أو للقاضي وكيع فلا فرق ، فكلاهما إمام محدث ثقة .

إذ أتاني رجلان ... " [1] وأفضل موضع للرعي من ديار بني سعد التي سبق ذكرها ، هو موضع أوطاس وما حوله من أطراف العقيق ، أي في نجد بني سعد بن بكر .

ولا يلتفت إلى قول البلادي في شأن أوطاس وأنها ليست من ديار بني سعد ، بل هي من ديارهم (وقد يشاركهم فيها غيرهم من بني عمومتهم من هوازن) فبنو سعد قريبون من أوطاس ، مجاورون لها في ذات عرق ، وقد سبق نقل قول الأصفهاني أن لبني سعد غوراً ونجداً في قوله : " وهم جيران هذيل ، إلا أنهم ربما جلسوا إلى فروع نجد "[2] . وقوله : (جلسوا) هو ـ كما تقدم ـ من الجَلْس ، وهو : " ما ارتفع من الغور في بلاد نجد " [3] ومعلوم أن غالب ديار بني سعد ـ السابق تحديدها ـ هي من أرض الغور ، وقد نقل الحربي عن ابن عيينة عن أبيه ، قال : " قلت لأهل ذات عرق : منجدون أم متهمون ؟ قالوا : لا منجدين ، ولا متهمين ، نحن أهل الغور " [4] ، فالغور مرحلة بين تهامة ونجد ، وخير من يمثله منازل بني سعد في ذات عرق وقرن المنازل ، وفي صفة جزيرة العرب : " وذات عرقٍ فصل ما بين تهامة ونجد والحجاز ، وفيها يقول الشاعر :

كأن المطايا لم تنخ بتهامةٍ ... إذا صعدت من ذات عرق صدورها

وقال آخر من أهل ذات عرق :

ونحن بسهبٍ مشرفٍ غيرِ منجدٍ ... ولامتهمٍ فالعين بالدمع تَشْرَقُ " [5]

فإذا كان بنو سعد في الغور وربما يجلسون إلى فروع نجد كما في نص الأصفهاني ، فأوطاس وأطراف العقيق هناك هي أول نجدهم . وقد نقل عن الأصمعي قوله : " ما ارتفع من بطن الرمة فهو نجد ، إلى ثنايا ذات عرق " [6] فجعل أوطاس من نجد . ونقل ياقوت عن ابن شبيب قوله : " الغور من ذات عرق لأوطاس ، ونجد من حد أوطاس إلى القريتين " [7] فجعل أوطاس أول نجد . فمن كان في ذات عرق من بني سعد فليس بينه وبين نجد (أوطاس) سوى أن يجتاز وادي (انخل) ليصبح في أوطاس ، وهو واد قصير قال عنه ياقوت : " أَنخُلُ: بضم الخاء المعجمة ، ذات أنخُل : واد ينحدر على ذات عرق أعلاه من نجد وأسفله من تهامة " [8].

---

(1) صحيح السيرة النبوية ، للألباني : 17 .
(2) بلاد العرب : 14 .
(3) معجم البلدان : 2 / 252 .
(4) المناسك : 347 .
(5) صفة جزيرة العرب : 50.
(6) معجم ما استعجم : 14
(7) معجم البلدان : 1 / 281 .
(8) معجم البلدان : 1/ 259 .

فلا يقال حينئذ إن أوطاس ليست من ديارهم ؛ بل هي منها ؛ لأنها أقرب ديار نجد إلى ديارهم وإلى غورهم ، وإلا فأين فروع نجد التي يجلسون إليها ؟ وإذا وجد في أوطاس قبائل أخرى من بطون هوازن فلا يُنكَر ؛ وبطون القبيلة الواحدة قد تتشارك في بعض ديارها وتختلط ، وخصوصاً ديار الرعي المتجاورة . فهذا هو الظاهر والغالب والمشاهد في ديار الانتجاع والرعي .

الدليل الرابع : ومما يؤيد هذا الرأي أيضاً ، ما ذكره الحربي من قوله : " ودون ذات عرق بميلين ونصف مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الميقات للإحرام ، وهو أول تهامة ، سمي هذا المسجد نجداً ، والمسجد الذي في ذات عرق الكبير فيه المنبر ، مسجد النبي صلى الله عليه وسلم "[1] .

فذكر وجود مسجدين متقاربين ، باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، والمسافة بينهما في حدود الميلين والنصف ، أحدهما مسجد الميقات ، واسمه أيضاً مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا واضح أمره ، والثاني مسجد (النجد) يطل على الغور ، على بعد ميلين ونصف من مسجد الميقات ، واسمه أيضاً مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنه يحرم الناس .

وهذا يقتضي السؤال عن هذا المسجد ، ما حقيقته ؟ ولماذا بني هنا ؟ ولماذا يحرم منه الناس ؟ وخصوصاً أن مسجد الميقات قريب منهم ، بالإضافة إلى أن هذا المسجد في أعلى الجبل المطل على الغور ، أي لا تتوفر عنده المياه ، في حين أن الماء موجود في مسجد الميقات أمامهم وقريباً منهم ، وموجود في بركة أوطاس ووادي العقيق خلفهم ، وقد كان بعض الحجاج يحرم من أوطاس عند البركة المشهورة ، أو من غمرة أو وجرة ؛ لتوفر الماء ووجود البرك على وادي العقيق ، وكان الشافعي رحمه الله يفضل الإحرام من وادي العقيق ، قبل الوصول إلى ذات عرق ، يقول في هذا : " لو أهلوا من العقيق أحب إليّ "[2] ، فما الذي يجعلهم يهلون من هنا ، حيث لا يتوفر الماء ، وحيث تجاوزوا العقيق ، ولم يصلوا إلى ميقات ذات عرق بعد ؟

والسؤال هو : هل بُني هذا المسجد كأثر لوجود النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الناحية ، ولهذا سمي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ؟

لا توجد إجابة قاطعة لهذا السؤال ، ولكن يمكن أن تكون الإجابة بنعم ؛ فإن من عادة أهل ذاك الوقت أنهم كانوا يبنون المساجد في المواضع التي يعتقدون أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقام بها أو صلى ، وخصوصاً ما كان منها على الطرق ، وهذا معلوم

---

(1) المناسك : 346 .
(2) الأم : 2 / 150 .

ومشهور وأمثلته كثيرة . وفي صحيح البخاري باب جعل عنوانه : " باب المساجد التي على طريق المدينة و المواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه و سلم "[1] وذكر فيه آثاراً عن بعض الصحابة والتابعين .

وعلق ابن كثير على باب البخاري هذا بقوله : " وهذه الأماكن لا يعرف اليوم كثير منها ، أو أكثرها ؛ لأنه قد غير أسماء أكثرها . وهذه البقاع اليوم عند هؤلاء الأعراب الذين هنالك ، فإن الجهل قد غلب على أكثرهم ؛ وإنما أوردها البخاري رحمه الله في كتابه لعل أحداً يهتدي إليها بالتأمل والتفرس والتوسم ، أو لعل أكثرها أو كثيراً منها كان معلوماً في زمن البخاري "[2] .

وعليه يمكن أن يقال إن هذا المسجد بني لهذا السبب ، إمّا ظناً بأن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ هنا صغيراً ، أو ظناً بأن الرسول صلى الله عليه وسلم صلّى به كبيراً ، فقد روى الحربي أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلّى في هذا المسجد ، حيث روى بسنده عن يحيى بن سواده عن أبيه ، قال : " أقبل النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى أشرف على ثنية مسجد النجد ، فصلّى به ، وأشرف على قرية ذات عرق ... " [3] . لكن لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم وصل إلى هذا الموضع بعد مغادرته له صغيراً .

وأشار لهذا المسجد صاحب كتاب وفاء الوفاء ، عند حديثه عن المساجد التي تخصه صلى الله عليه وسلم ، وقال : " ومنها : مسجد دون ذات عرق بميلين ونصف ، قال الأسدي في وصف طريق ذات عرق من جهة نجد والعراق : إن بركة أو طاس يسْرَة عن الطريق بائنة عن المحجة ، وبعدها مسجد يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى [4] فيه ، ودون ذات عرق بملين ونصف مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ميقات الإحرام، وهو أول تهامة ، فإذا صرت عند الميل الثامن رأيت هناك بيوتا في الجبل خراباً يمنة عن الطريق ، يقال : إنها ذات عرق الجاهلية ، وأهل ذات عرق يقولون : الجبل كله ذات عرق ، وبعض أهل العلم كان يحب أن يحرم من ذات عرق الجاهلية " [5] .

وأشار لهذا المسجد أيضاً البكري في المسالك والممالك ، وسماه أيضاً مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، ونصه : " ومن وجرة إلى ذات عرق ـ وهي ميقات أهل العراق ـ سبعة وعشرون ميلاً ، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ذات عرق بميلين

---

(1) صحيح البخاري : رقم الحديث : 469 .
(2) سيرة ابن كثير : 4 / 269 .
(3) المناسك : 349 .
(4) كلمة (صلى) ساقطة من الكتاب ، ولابد من إثباتها ليتضح المعنى .
(5) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى : 3/ 181 .

ونصف ، وهو ميقات أهل العراق ، والمسجد الذي في ذات عرق الكبير الذي فيه المنبر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم "[1] .

وذكره الأصفهاني وسمّاه مسجد النجف ، قال : " فإذا جزت أوطاس أشرفت على غور تهامة ، وعلى رأس الشرف مسجد ، يقال له مسجد النجف ، وتشرف حينئذ على ذات عرق قرية "[2] فأثبت وجود المسجد ، إلا أنه سماه : مسجد النجف ، ولا أعرف مبرراً لهذه التسمية ، وأرى أنها تصحيف ، وأن أصل الكلمة هو الاسم الثاني الذي ذكره الحربي ، وهو مسجد (النجد) ؛ لأن موضعه هو بداية الدخول في أرض نجد كما تقدم ذكره .

فإذا تبين هذا ، فإن وجود مسجد بهذا الاسم (مسجد النبي صلى الله عليه وسلم) في هذا الموضع القريب من مسجد الميقات (ميلان ونصف) وإحرام الناس منه بالرغم من عدم توفر الماء بقربه ، وبالرغم من وجود مواضع الإحرام أمامهم أو خلفهم ، كل هذا يثير بعض الأسئلة عن هذا المسجد من بناه ؟ ولماذا بني هنا ؟ ولماذا يحرم الناس منه ؟ ولماذا سمي مسجد النبي ؟ وهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُرضع في هذه الناحية ؟





آثار منازل مهدمة على رأس الغور قد يكون مسجد النجد أحدها

الدليل الخامس : وأخيراً فقد أورد الواقدي في المغازي نصاً عن أبي الحصين الهذلي ، قال : " قدِمَتْ على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إحدى نساء بني سعد بن بكر ـ إمّا خالة أو عمة ـ بنِحِيّ مملوءٍ سمناً وجراب أقط ، فدخلت عليه وهو في الأبطح ، فلما دخلت انتسبتْ له ،

(1) المسالك و الممالك للبكري : 1/ 318 .
(2) بلاد العرب : 373 ، 374 .

فعرفها صلى الله عليه وسلم ، ودعاها إلى الإسلام ، فأسلمت وصدّقت ، ثم أمر صلى الله عليه وسلم بقبول هديّتها ، وجعل يسائلها عن حليمة ، فأخبرته أنها توفّيت في الزمان [1] ، قال : فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سألها : من بقي منهم ؟ فقالت : أخواك وأختاك ، وهم والله محتاجون إلى بِرّك وصلتك ، ولقد كان لهم موئل فذهب ، وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين أهلك ؟ فقالت : بذنب أوطاس . فأمر لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسوة ، وأعطاها جملاً ظعينة ، وأعطاها مائتي درهم ، وانصرفت وهي تقول : نعم والله المكفول كنت صغيراً ، ونعم المرء كنت كبيراً ، عظيم البركة "[2] وهذا النص يحتوي على فوائد تتعلق بموضوعنا ، منها :

أ / الفائدة الأولى : سؤاله صلى الله عليه وسلم لها : أين أهلك ؟ فهذا دليل على أن حليمة وأهلها بادية متنقلون ، ولو كانوا مستقرين في موضع معروف لا يغادرونه ، لما سألها هذا السؤال ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم سيعرف موضعهم حينئذ ؛ لأنه سبق أن عاش فيه . ولكن لعلمه صلى الله عليه وسلم أنهم متنقلون ، سأل هذا السؤال ؛ ليعلم أين هم الآن ؟ وهذا مما يقوي ما تقدم من أنهم بادية متنقلون ، وأقرب مواضع بني سعد لهذا الوصف هي أوطاس وأطراف العقيق ، وتلك الديار .

ب / والفائدة الثانية : وهي الأهم في نظري ـ هي قولها في الجواب على سؤاله عن موضعهم في ذاك الوقت ، حيث قالت : بذنب أوطاس ، أي : آخره . سواء أقلنا : هو آخره من جهة ذات عرق ، أم قلنا هو آخره من جهة العقيق ، وهو الأولى .

فهذا الجواب مهم جداً ، وهو يفيد أن أهل حليمة ، في زمنه صلى الله عليه وسلم ، وفي العام الثامن من الهجرة ، على سبيل التحديد ، كانوا يسكنون أوطاس ، وهو الموضع الذي اخترنا في هذا البحث أن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ فيه وحوله . وهو يؤيد نص الحربي السابق ، ويرد على إنكار البلادي على الحربي ، وقوله إن هذه الديار ليست من ديار بني سعد بن بكر ، فكيف لا تكون لهم وهم هؤلاء يقيمون فيها !!

(1) وهذا يعارض القول بإسلام حليمة وقدومها للرسول صلى الله عليه وسلم بعد حنين مما تقدم ذكره .
(2) المغازي : 869 .

المطلب الثاني : تحديد موضع أوطاس [1] :

بعد أن ترجح أن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في أرض أوطاس وما حولها ، فلابد من معرفة أين تقع أوطاس ؟ حيث لا يوجد في الوقت الحاضر موضع بهذا الاسم ، وأيضاً فقد حدث لبس واسع بين أوطاس وحنين لابد من بيانه في هذا المطلب ، وذلك على النحو الآتي :

أولاً : التفريق بين حنين وأوطاس :

حصل لبس واسع وتداخل بين موضع أوطاس وبين موضع حنين ، وهذا اللبس موجود بكثرة في أقوال بعض أهل السير ، والبلدانيين ، وأهل اللغة ، وشراح الحديث ، وغيرهم .

فمن الأمثلة على هذا من كتب السير ، ما جاء في الروض الأنف عن غزوة حنين : " ويقال لها أيضا : غزوة أوطاس ، سميت بالموضع الذي كانت فيه الوقعة ، وهو من وطست الشيء وطسا إذا كدرته ، وأثرت فيه ... وفي غزوة أوطاس قال النبي صلى الله عليه وسلم : الآن حمي الوطيس ، وذلك حين استعرت الحرب ، وهي من الكلم التي لم يسبق إليها صلى الله عليه وسلم " [2] . وغزوة حنين بالتأكيد ليست غزوة أوطاس ، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل : " الآن حمي الوطيس " في سرية أوطاس ، بل قالها في غزوة حنين [3] ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لم يحضر أوطاس . ومثله في مغازي الواقدي : " ... وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوطاس ، فسلك على نخلة اليمانية ، ثم على قرن ، ثم على المليح ، ثم على بحرة الرغاء من لية ، فابتنى بها مسجداً فصلى فيه " [4] . والرسول صلى الله عليه وسلم سار إلى الطائف من حنين ولم يسر إليها من أوطاس .

ووقع هذا اللبس أيضاً عند البلدانيين وأهل اللغة ، ومثله ما ذكره ياقوت ، حيث قال : " وأوطاس : واد في ديار هوازن ، فيه كانت وقعة حنين للنبي صلى الله عليه وسلم ، ببني هوازن " [5] . ومن أمثلة أهل اللغة ما جاء في التهذيب للأزهري عند ذكر حنين قال :

---

(1) جاء في شرح النووي على مسلم : 9/ 184 ، عن لفظ أوطاس : " يُصرف ولا يصرف ، فمن صرفه أراد الوادي والمكان ، ومن لم يصرفه أراد البقعة كما في نظائره ، وأكثر استعمالهم له غير مصروف " .

(2) الروض الأنف : 7 / 274 ، 275 .

(3) جاء في مسند أحمد عن غزوة حنين : 1 / 207 : " فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا حين حمي الوطيس " وفي رواية : " عن كثير بن عباس ، قال : كان عباس وأبو سفيان معه - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - قال : فخطبهم ، وقال : الآن حمي الوطيس " وقال عنه الألباني : صحيح . انظر : صحيح الجامع : رقم : 2754 .

(4) المغازي : 3 / 924 .

(5) معجم البلدان : 1 /281 .

" وحنين : اسم واد ، به كانت وقعة أوطاس " [1] .

ومن أقدم من وقع اللبس في كلامه من أهل الحديث القاضي عياض ، حيث قال في مشارق الأنوار : " أوطاس بفتح أوله واد في ديار هوازن ، وهو موضع حرب يوم حنين " [2] أما ابن حجر فقد أشار إلى وقوع هذا اللبس عند أهل السير وغيرهم ، ثم ذكر الصواب في المسألة ، فقال عند شرحه للفظ أوطاس : " قال عياض : هو واد في دار هوازن ، وهو موضع حرب حنين ... وهذا الذي قاله ذهب إليه بعض أهل السير ، والراجح أن وادي أوطاس غير وادي حنين ، ويوضح ذلك ما ذكر ابن إسحاق أن الوقعة كانت في وادي حنين ، وأن هوازن لما انهزموا صارت طائفة منهم إلى الطائف ، وطائفة إلى بجيلة ، وطائفة إلى أوطاس " [3] .

وهذا الذي قاله ابن حجر هو الصحيح ، فأوطاس غير حنين ، وهي بعيدة عنها ، فحنين قريبة من مكة ومن حدود الحرم ، وأوطاس تبعد عنها قرابة (80 كم) إلى الشمال الشرقي ، ولعل سبب هذا اللبس يعود إلى أمرين :

الأول : هو أن معركة أوطاس وقعت بعد معركة حنين مباشرة ، فظن بعضهم أن أوطاس من حنين أو قريبة منها .

الثاني : ما رواه ابن اسحق وغيره من مقولة مشتهرة عن دريد بن الصمة ، قالها عند احتشاد هوازن للمعركة ، وسؤاله لهم : " بأي واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نعم مجال الخيل ، لا حزن ضرس ، ولا سهل دهس " [4] . فهذه المقولة أوردها ابن اسحق وهو يصف استعداد هوازن لمعركة حنين ، والمقولة فيها ذكر لأوطاس ، مما يوقع الاشتباه بينهما .

ويمكن تفسير مقولة دريد هذه بأحد أمرين :

الأول : أنه قالها حين احتشدت هوازن في أوطاس ، ثم بعد ذلك انتقلت هوازن إلى حنين ، وهو ما لمّح إليه البكري بقوله عن أوطاس : " واد في ديار هوازن ، وهناك عسكروا هم وثقيف ، إذ أجمعوا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتقوا بحنين " [5] . فجعل موضع اجتماعهم في أوطاس مختلفاً عن موضع حربهم في حنين . وهذا القول يمكن قبوله لكن يعكّر عليه قول دريد عن أوطاس " نعم مجال الخيل ... " فهذا لا يقال إلا لأرض يريد ترشيحها للمعركة ، فكيف يرشح موضعاً ثم ينتقل الجيش عنه بعيداً !! .

---

(1) تهذيب اللغة : 3/ 288 .
(2) مشارق الأنوار على صحاح الآثار : 1 / 58 .
(3) فتح الباري : 8 /42 .
(4) سيرة ابن هشام : 2 /438 .
(5) معجم ما استعجم : 1 / 212 .

الثاني : أن دريداً قال هذا في معركة أوطاس ، فبعد انهزام المشركين بحنين وتفرقهم ،تبع جيش الرسول صلى الله عليه وسلم المنهزمين الذين لجأوا إلى الطائف ، وطاردت سرية بقيادة أبي عامر الأشعري فلول المنهزمين الذين ذهبوا إلى أوطاس وعسكروا فيها ، وهنا استشهد أبو عامر الأشعري ، وتولى القيادة ابن أخيه أبو موسى الأشعري ، ثم انهزم المشركون [1] . وقد كان دريد أحد هؤلاء الذين ذهبوا إلى أوطاس ، وحينئذ يصح أن يقول دريد عن أوطاس : نعم مجال الخيل ؛ لأن المعركة حدثت هنا .

والظاهر أن دريد بن الصمة قتل في أوطاس ؛ يشهد لهذا حديث البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ، قال : " حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن بريد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال : لما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس ، فلقي دريد بن الصمة ، فقُتل دريد وهزم الله أصحابه " [2] . فظاهر النص أن الجيش لقي دريداً في أوطاس ، حيث قتل وهزم الله أصحابه وقد أشار إلى هذا البكري بقوله : " وكان فيمن أدركه الطلب بأوطاس فقتل ، قتله ربيعة بن رفيع السلمي " [3] .

ثانياً : تحديد موضع أوطاس :

أوطاس هي : الحزوم [4] والأودية والحراج التي تقع ما بين وادي العقيق شرقاً ، وغور ذات عرق غرباً ، وتحده الحرار من الشمال والجنوب [5] . وهي تتكون من حزوم متقاربة ، ويفصل بينها أودية ومجاري مياه تتكاثف في هذه الأودية الأشجار حتى تكاد تغلقها . وجزء كبير من أوطاس في الوقت الحاضر يطلق عليه اسم (حزم الصريم) وهو في الواقع مجموعة حزوم متقاربة ، ولعل هذا هو سبب التسمية بصيغة الجمع (أوطاس) .

---

(1) سيرة ابن هشام : 2/ 255 ، 256 .

(2) صحيح البخاري : رقم : 4068 ، صحيح مسلم : رقم : 6562 .

(3) معجم ما استعجم : 1 / 212 . وقد اختلف في موضع مقتل دريد ، فنص البكري هذا يفيد أن مقتله في أوطاس ، وهذا يناسب أنه كان في المعركة وشارك فيها بالرأي ونحوه ، كما حصل الإختلاف أيضاً في قاتله ، وفي عمدة القاري للقسطلاني (17 / 302) : " واختلف في قاتله فعن محمد بن إسحاق قتله ربيعة بن رفيع بضم الراء وفتح الفاء وبالعين المهملة ابن وهبان بن ثعلبة بن ربيعة السلمي ... وروى البزار في مسند أنس بإسناد حسن ما يشعر بأن قاتل دريد بن الصمة هو الزبير بن العوام " .

(4) الحزم من الأرض يطلق على معان منها ما غلظ من الأرض وكثرت حجارته ، ومنها ما ارتفع من الأرض . قال في المحكم (3 / 233) : " والحزم : الغليظ من الأرض . وقيل : هو المرتفع " وفي اللسان (12/ 133) : " والحزم من الأرض: ما احتزم من السيل من نجوات الأرض والظهور " . والمقصود هنا ما ارتفع من أرض أوطاس على مسالك الأودية ، وليس الغليظ من الأرض ؛ لأن حزوم أوطاس سهلة لينة .

(5) حدّد البلادي أوطاس في كتابه معجم معالم الحجاز (1/ 152) بأنه شمال شرقي عشيرة على ضفة العقيق من الشرق ... ثم صحح هذا الخطأ وحددها تحديداً صحيحاً في كتابه معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص : 34) بأنه على الضفة الغربية من وادي العقيق .

وذكر الفيومي في المصباح المنير أن أوطاس من النوادر في اللغة التي جاءت بلفظ الجمع للواحد [1]. قلت : والسبب في هذا واضح ، وهو أن الموضع يتألف من مجموعة حزوم ، وليس حزماً واحداً متصلاً ، بل حزوم متقاربة تفصل بينها أودية تتكاثف فيها الأشجار لتصبح حراجاً تصعب أحياناً الحركة فيها ، حتى ضرب المثل بها ، فالعرب تقول إذا أرادت أن تصف الكثرة : " رأيت حِراج أوطاس " [2] ، وروى الطبراني وغيره عن جبير بن مطعم قال : " غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كنا ببطن نخلة واجتمع إليه الناس فركبه ، فمر بشجرة فتشبثت بردائه فتمزق ، فأقبل علينا .... فقال : " فوالذي نفسي بيده ، لو كان معي مثل شجر أوطاس نعم حمر لقسمته بينكم " [3] . وسبب كثافة الأشجار في هذه الأودية طيب تربتها ؛ لقدومها من الحرار المجاورة . وقد أشار لهذا الأصفهاني حيث وصف أوطاس بقوله : " أرض برية طيبة ، لبني سليم " [4] والنص يشير إلى أن أوطاس ليست مجرد الحزوم ؛ لأن الحزوم الموجودة لا تنبت كما هو مشاهد ، بل تكاثف النبات يكون في الأودية ومجاري المياه الكبيرة والصغيرة . فأوطاس تشمل جميع هذه الحزوم والأودية والحِراج [5] .

وتحد أوطاس الحرار من الجنوب والشمال ، ففي الشمال تحده أطراف حرة رهاط ووادي الخشاش ، ومن الجنوب تحده حرة بس الشمالية ووادي سِلحة ، وقد ورد ذكر حرة بس مع أوطاس وذلك في قصيدة للعباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه ، عند ذكره لمعركتي حنين وأوطاس ، ومنها [6] :

وصرماً من هلالٍ غادرتهم ... بأوطاس تُعفَّر بالتراب

ركضنا الخيل فيهم بين بُس ... إلى الأورال تنحط بالنهاب

فذكر هنا حرة بس مع أوطاس ، وهي الحرة التي تحد أوطاس من الجنوب ، والمقصود حرة بس الشمالية ؛ لأنها هي التي تحد أوطاس .

---

(1) المصباح المنير : 663/2 .
(2) الجيم للشيباني : 1/ 46 .
(3) المعجم الأوسط : 2 / 225 .
(4) بلاد العرب : 405 . وقوله : لبني سليم ، لا يُسلّم له ، لأن النصوص تثبت أنها لهوازن ، ولا أدل على ذلك من أن هوازن عسكرت بها حين أرادت غزو الرسول صلى الله عليه وسلم في حنين ، وعادت إليها بعد الفرار من حنين وعسكرت ثانية ، وفيها وقعت معركة أوطاس بين جيش الرسول صلى الله عليه وسلم وقبائل من هوازن ، وسليم كانت في جيش الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهل يعقل أن تعسكر هوازن في أرض عدوهم !! لكن قد يكون بعض من سليم وصل إلى هنا متأخراً في عهد الأصفهاني ، فأرض سليم ليست بعيدة من هنا .
(5) ذكر ياقوت في معجم البلدان (2 / 245) أنه توجد حرة اسمها : (حرة أوطاس) . ولاشك أنها إحدى الحرار المحيطة بأوطاس . وهو يدل على أن الاسم يشمل حتى الحرة .
(6) سيرة ابن هشام : 2/ 459 .

ويحد أوطاس من الشرق وادي العقيق (عقيق عشيرة) القادم من شمال الطائف . وحد أوطاس من الغرب هو بداية الغور ، فقد نقل ياقوت عن ابن شبيب ، أنه قال : " الغور من ذات عرق إلى أوطاس ، وأوطاس على نفس الطريق " [1] أي : يقصد طريق الحاج العراقي ، وجاء في بلاد العرب قوله : " ثم ليس دون وجرة إلا متعشى يقال له بسيان ، فيه من ماء السماء ، ثم أوطاس ، فإذا جزت أوطاس أشرفت على غور تهامة "[2] وذكر أيضاً أن في أوطاس يلتقي طريق البصرة وطريق الكوفة .

وفي أقصى شرق أوطاس تقع بركة أوطاس (البريكة) على طريق الحاج العراقي ، عند التقاء وادي سلحة ـ القادم من الطرف الغربي لحرة بس الشمالية ـ مع وادي العقيق ، القادم من الأطراف الشرقية للحرار ، وتسمى أيضاً بركة (أم خرمان) وقيل أم خرمان الجبل القريب منها (المنيبر) ، وقد كان يوقد عليه لهداية الحاج ، قال الزمخشري : " كان السلطان يأمر بإيقاد النيران على أم خرمان ، وهي رابية بين ملتقى البصرة وحاج الكوفة ، ليستأنسوا إلى ضوئها " [3] ، ويقول الحربي : " وعلى ثمانية أميال من غمرة ، عند الحادي عشر من البريد ، يَسرَة قبل البريد ، أم خرمان ، ومنه يعدل أهل البصرة ، وهو الجبل الذي عليه علم ومنظرة ، وعنده بركة أوطاس ، وآبار ومنازل "[4] . ونقل ياقوت عن ابن السكيت : " قال أبو مهدي: أمّ خرمان ملتقى حاجّ البصرة وحاج الكوفة ، وهي بركة إلى جنبها أكمة حمراء على رأسها موقد ، وأنشد :

يا أم خرمان ارفعي الوقودا ... تري رجالاً وقلاصاً قودا

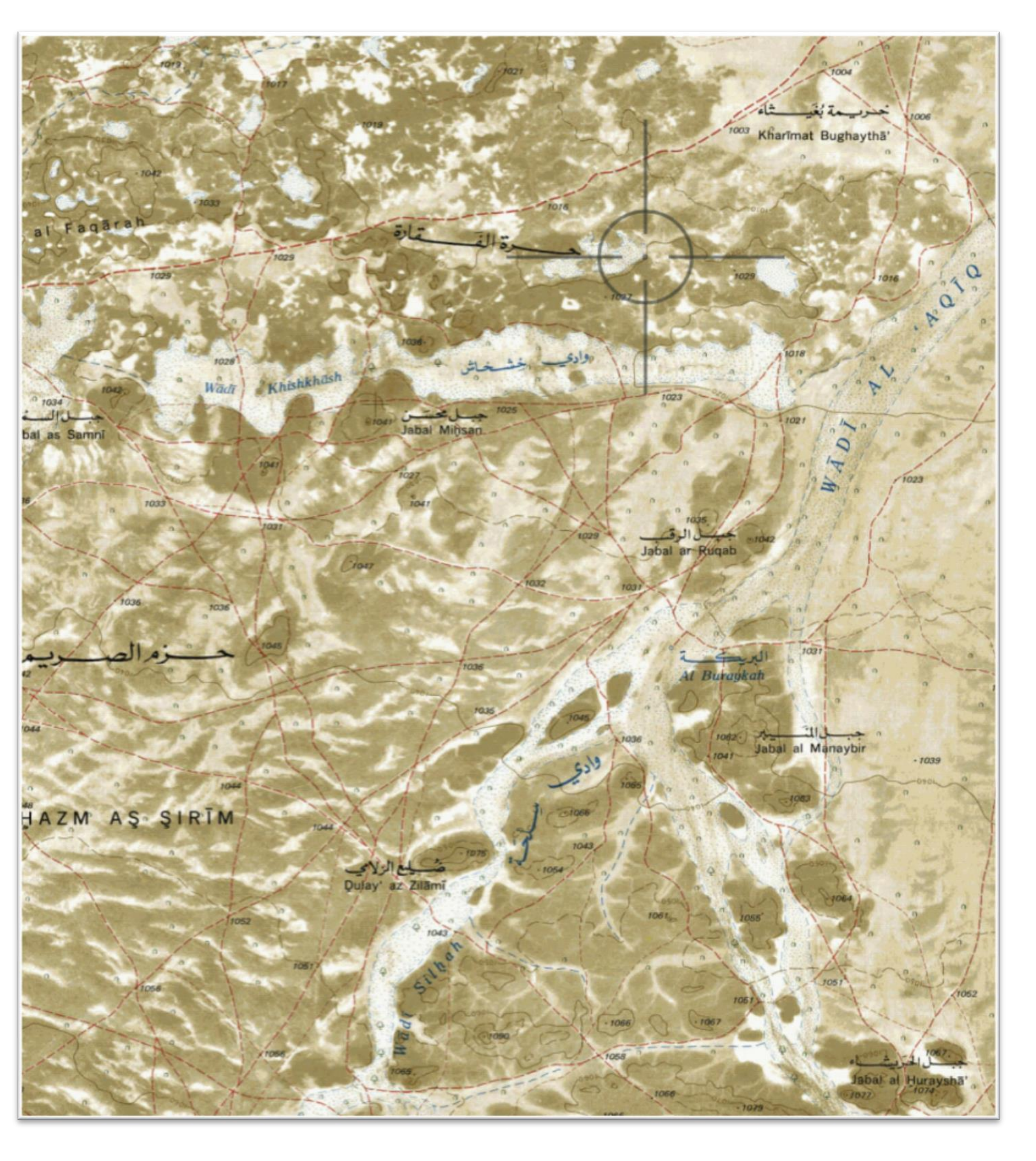
وقد أطالت نارك الخمودا ... أَنِمتِ أم لا تجدين عودا ؟ " [5] .

وفي هذا الموضع ـ كما تقدم ـ قال دريد بن الصمة قوله المشهور : " بأي واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعم مجال الخيل ، لا حزن ضرِس ، ولا سهل دهِس " [6]. فهذا هو الموضع الحقيقي لهذا القول ، وهذه هي الأرض التي ينطبق عليها هذا الوصف بوضوح [7] . ونقل النووي عن أبي الفتح الهمداني قوله : " أوطاس : من قولهم وطست الشيء أوطسه وطساً ، إذا وطئتُه وطئاً شديداً ... قال : فسمي المكان بذلك ؛ لأنه موطّأ مليّن " [8] .

---

(1) معجم البلدان : 4/ 108.
(2) بلاد العرب : 373 .
(3) ربيع الأبرار : 26/1 .
(4) المناسك : 346 .
(5) معجم البلدان : 1 / 251 . .
(6) سيرة ابن هشام : 2 / 437 .
(7) المقصود بهذا هو المواضع المكشوفة من أوطاس ، وهي الحزوم السهلة اللينة ، وهذا ملاحظ في الحزوم الواسعة في أرض أوطاس ، حيث تسير فيها السيارة بسرعات عالية دون عائق .
(8) تهذيب الأسماء واللغات : 3 / 19 .

فإذا تقرر هذا نستطيع أن نقول إن أوطاس موضع واسع يمتد من أول الغور غرباً ، حتى وادي العقيق شرقاً ، وتحده الحرار والأودية من جنوبه وشماله ، وطول أوطاس من الغرب للشرق على السمت (20 كم) تقريباً ، وعرضه من الجنوب إلى الشمال (10كم) تقريباً ، وهو يضيق في أماكن ويتسع في أخرى .



صورة من صور هيئة المساحة تظهر شمال أوطاس (حزم الصريم) ويظهر موضع بركة أوطاس ، ويظهر التقاء وادي العقيق بوادي سِلحة ، ثم بوادي الخشاش عند نهاية أوطاس .



صورة من برنامج فلاش إيرث تظهر فيها بركة أوطاس إلى جانب البركة التي أنشأتها الحكومة السعودية حديثاً ، وتظهر أيضاً حِراج أوطاس ، وجبل أم خرمان .





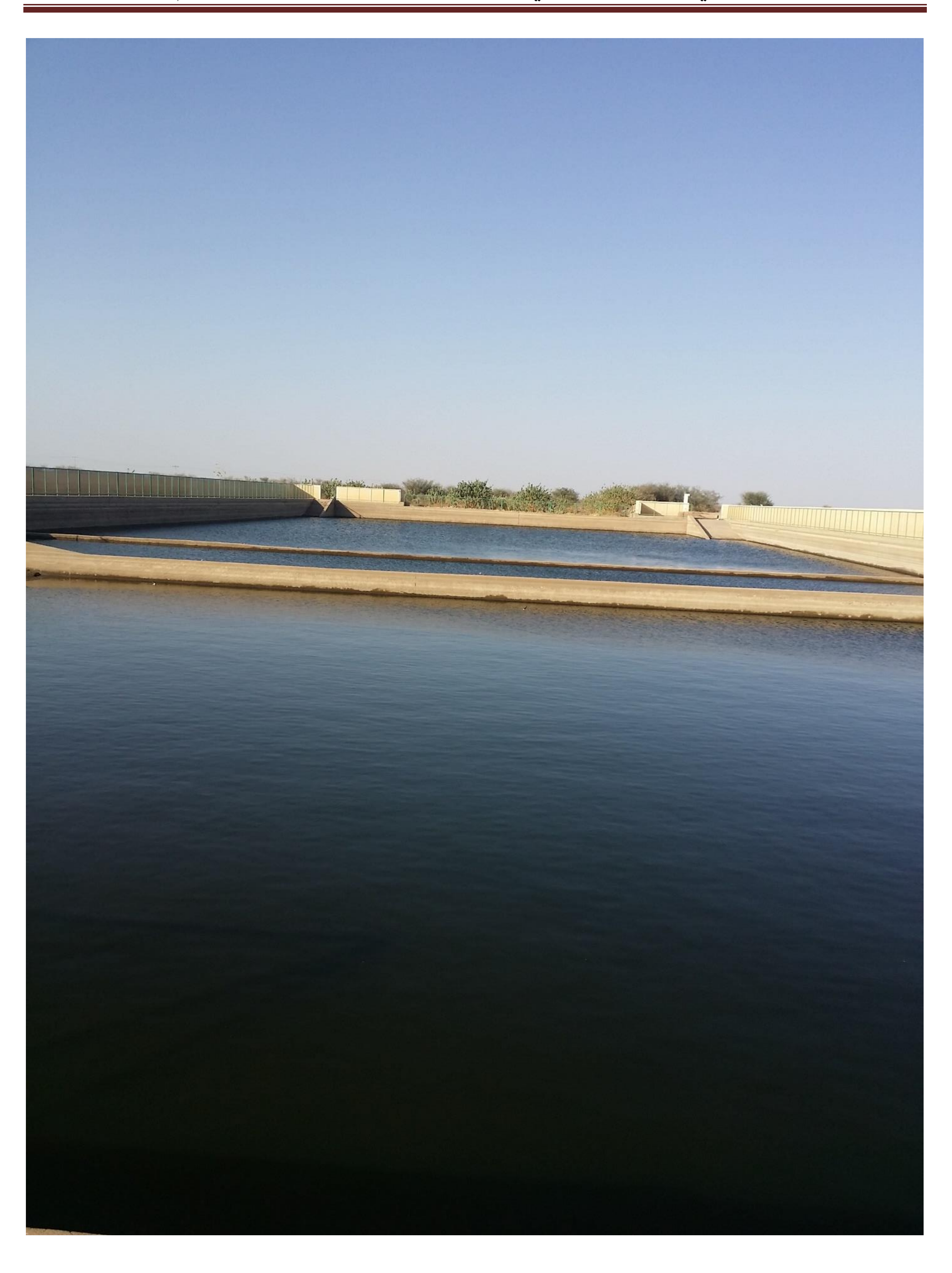
أوطاس (حزم الصريم) .

أعلى جبل أم خرمان (منيبر) حيث كان يوقد عليه لهداية الحاج .

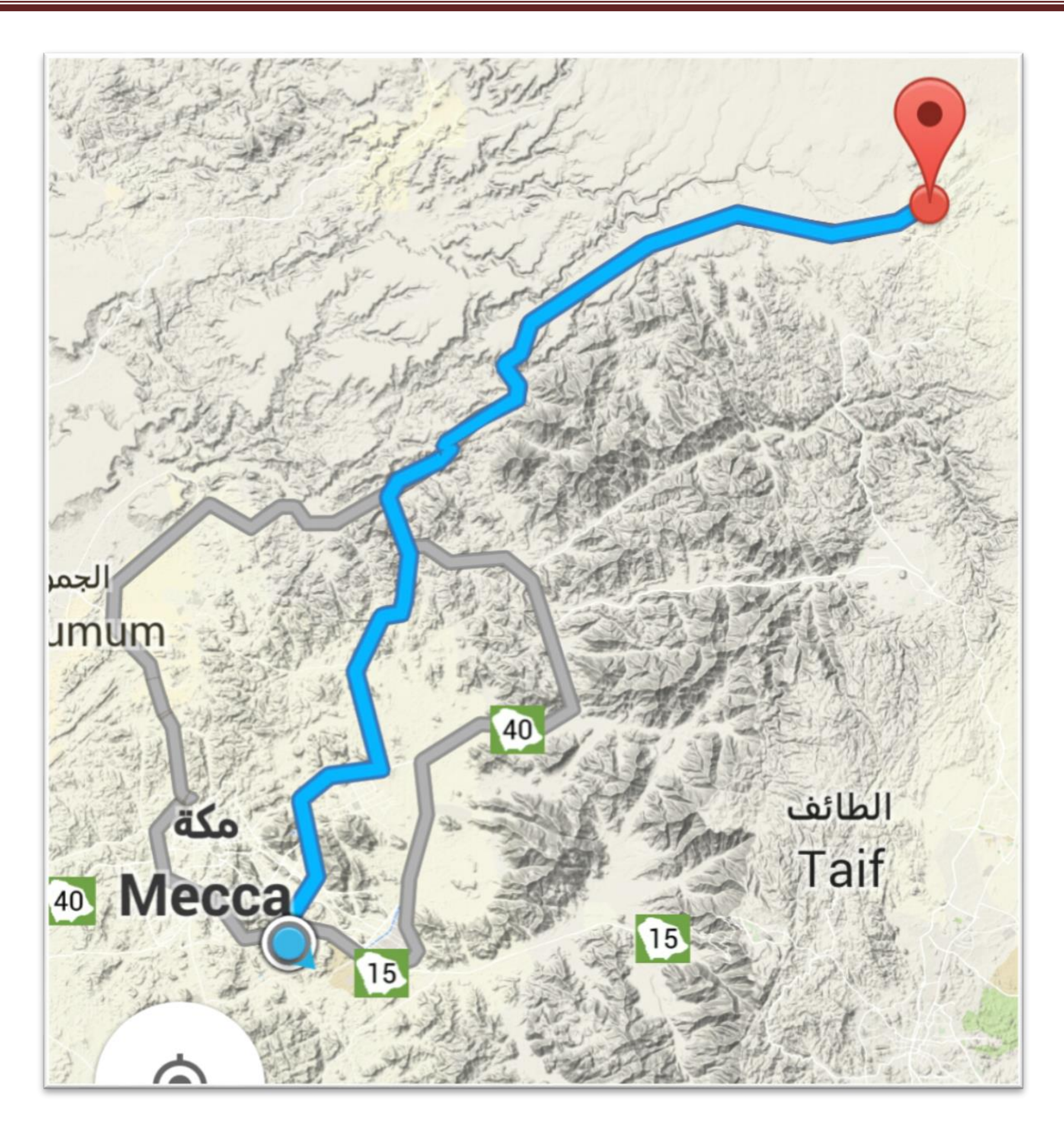




صورتان لبركة أوطاس (البريكة) .



صورة لبركة أوطاس التي أنشأتها الحكومة السعودية حديثاً .



المسافة بين مكة وأوطاس ، وهي قرابة 115 كم .

المطلب الثالث : الروايات التي ذكرت وادي (السرر) وحقيقتها :

قبل أن أختم هذا البحث لابد من الإشارة إلى أن أغلب الروايات في السير والتأريخ التي تذكر مسألة إرضاعه صلى الله عليه وسلم في ديار بني سعد ، تأتي بالخبر على سبيل العموم ، كقولهم : بلاد بني سعد ، أو منازل بني سعد ، أو بادية بني سعد ، ولا تذكر موضعاً منها بعينه ، وذلك عدا نص إبراهيم الحربي السابق ، فهو النص الوحيد الذي أشار إلى موضع الإرضاع .

لكن أوردت بعض كتب السير (وادي السرر) وأشارت إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان هناك صغيراً مع أمه حليمة السعدية وأخته الشيماء ، فقد روى الواقدي وغيره خبر غزوة حنين ، وقصة أسر المسلمين للشيماء ، أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، وفيها : " ... فتعبت الشيماء بتعبهم فجعلت تقول : إنّي والله أخت صاحبكم فلا يصدّقونها ، وأخذها طائفة من الأنصار ، وكانوا أشدّ الناس على هوازن ، فأتوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا مُحمّد إنّي أختك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما علامة ذلك ؟ فأرته عضة وقالت : عضّة عضضتنيها وأنا متورّكتك بوادي السرر، ونحن يومئذ برعائهم ، وأبوك أبي وأمّك أمّي وقد نازعتك الثدي..." [1] .

فهذه الرواية تشير إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مع اخته وأمه بوادي (السرر) فهل وادي السرر هذا من ديار بني سعد بن بكر ؟ وهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسترضع هنالك ؟ وكيف نوفق بين هذا النص وبين ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم كان يسترضع في أوطاس وما حولها ؟

قبل الإجابة على هذه الأسئلة لابد من التأكيد على أن وادي السرر المشهور المعروف ، المذكور في كتب التأريخ والبلدان ليس من ديار بني سعد بن بكر ، ولا كذلك من ديار هوازن ، بل هو من ديار قريش ، يقول الأزرقي : " سدرة خالد : هي صدر وادي مكة من بطن السرر ، منها يأتي سيل مكة إذا عظم ، الذي يقال له سيل السدرة " [2] وهذا يشير إلى أن بطن السرر أعلى مكة . وقد حدده البلادي بأنه : من حراء إلى ثبير غيناء إلى العدل [3] ، فهو من ديار قريش قطعاً ، ولم يقل أحد إنه من ديار هوازن ، ويؤيد هذا ما رواه مالك والنسائي والبيهقي وغيرهم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كنت بين الأخشبين من منى ، ونفخ بيده نحو المشرق ، فان هناك وادياً يقال له السَّرر ، به سرحة سُرّ تحتها سبعون نبياً " [4] .

---

(1) المغازي : 3/ 913 .
(2) أخبار مكة : 1 / 934 .
(3) معجم معالم الحجاز : 4 / 191 .
(4) الموطأ : 3 / 624 .

وذكر ياقوت أن السَّرر بفتح السين وكسرها هو " الموضع الذي سُرَّ فيه الأنبياء ، وهو على أربعة أميال من مكة ، وفي بعض الحديث : أنه بالمأزمين من منى " [1] **وأورد فيه بيتاً لأبي ذؤيب الهذلي** [2] **:**

بآية ما وقفت الركاب ... بين الحجون وبين السرر

فإذا تقرر هذا وعلم منه أن وادي السرر المشهور المعروف من ديار قريش ، وإذا علم أن حليمة التحقت مع ابنها بقومها وديارها ، فلا يتصور أن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في وادي السرر هذا ؛ لأنه نشأ في بادية بني سعد ، وليس في ديار قريش .

وعليه يمكن فهم الرواية السابقة بالنظر في الاحتمالات الآتية :

أولاً : يمكن أن يقال إن هذا حدث أثناء مرور حليمة مع هذا الوادي (السرر) مع ابنها وأخته ، وهي ذاهبة في طريقها لديار قومها ، أو وهي راجعة به إلى مكة . فالروايات تذكر أن حليمة خرجت بابنها من مكة لديار قومها وعادت به أكثر من مرة ، وذلك حين تأتي به لزيارة أمه ثم تعود به ، وهذا القول ترجحه بعض النصوص ، فقد وردت نصوص تذكر أن حليمة مرت بابنها مع هذا الوادي ، وأن هذا المرور حصل في الذهاب وحصل أيضاً في الإياب .

فقد روى ابن سعد وغيره خبر خروجها به صلى الله عليه وسلم لأول مرة من مكة إلى ديار قومها ، قال : " ... ثم خرجت به إلى منزلها فحدجوا أتانهم فركبتها حليمة وحملت رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديها وركب الحارث شارفهم فطلعا على صواحبها بوادي السرر، وهن مرتعات وهما يتواهقان فقلن : يا حليمة ما صنعت ؟ فقالت: أخذت والله خير مولود رأيته قط ، وأعظمهم بركة ، قال النسوة : أهو ابن عبد المطلب ؟ قالت : نعم . قالت : فما رحلنا من منزلنا ذلك حتى رأيت الحسد من بعض نسائنا "[3] **.**

وفي كتب السير من رواية أبي نعيم عن بعض رعاة حليمة ، قال : " مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين حين فطم وكأنه ابن أربع سنين ، فقدموا به على أمّه زائرين لها ، وهم أحرص شيء على ردّه مكانه ؛ لِما رأوا من عظيم بركته ، فلمّا كانوا بوادي السرر لقيت نفراً من الحبشة فرافقتهم ... "[4]

---

(1) معجم البلدان : 3 / 210 . وجاء في خزانة الأدب (9 / 308) : " قال الرياشي: المحدثون يضمونه وهو إنما هو السَّرر بالفتح "

(2) شرح أشعار الهذليين : 113/1 .

(3) الطبقات الكبرى ، (1/ 111)

(4) سبل الهدى والرشاد : 1 / 387، 388 .

فهذان نصان يذكران أن حليمة مرت ومعها ابنها مع هذا الوادي في خروجها من مكة وفي رجوعها إليها ، ويمكن أن يقال إن الحادثة المذكورة في الأثر السابق حصلت في إحدى هاتين المرتين . لكن يُعكّر على هذا الفهم أن النص ورد فيه قول اخته : " ونحن يومئذ برعائهم " وفي لفظ : " ونحن يومئذ نرعى البهم " [1] ، فهل كانت حليمة تتنقل بابنها وابنتها في طريقها لمكة ، ثم عودتها منها ، ومعها أغنامها والبهم ؟ لعل هذا غير متصور .

ثانياً : أن يقال إنه يوجد في الوقت الحاضر موضع قريب من أوطاس ، ولفظه قريب من هذا الاسم ، وهو واد صغير في الضفة الشرقية من وادي العقيق ، يدفع سيله في العقيق ، ويسمى وادي (السرار) أو كما يدعوه الأهالي هناك : (دعب السرار) واحتمال أن بني سعد بن بكر كانوا يصلون إلى هذا الموضع وارد، فالموضع ليس بعيداً من أوطاس ، والمسافة بين هذا الوادي وبين آخر أوطاس من جهة العقيق في حدود (15 كم) تقريباً بالإتجاه الشمالي الشرقي .

لكن الرواية وردت باسم (السرر) وليس (السرار) ، وأيضاً فإن هذا الوادي الصغير لم تذكره المصادر لبني سعد بن بكر ، ولم يعرف أنه من ديار بني سعد بن بكر قديماً ، وإن كان قريباً من ديارها .

ثالثاً : أن يقال إنه كان يوجد في ديار بني سعد بن بكر قديماً واد اسمه (السرر) إلا أن هذه التسمية زالت عن هذا الوادي مع الزمن ، ولم يعد معروفاً الآن بهذا الاسم . وهذا تفسير للنص يمكن قبوله ، وهو أمر مشاهد ويحدث كثيراً . فإن صحت هذه الرواية ، ولم يمكن حملها على أي من الاحتمالات السابقة ، فيمكن القول باحتمال وجود واد بهذا الاسم في ديار بني سعد في ذلك الوقت ، ثم لم يعد معروفاً الآن .

وعليه فإن رواية (وادي السرر) لا تتعارض مع القول إنه صلى الله عليه وسلم نشأ في أوطاس وما حولها ، بل هذه الرواية إما أنها لا تعارضه ، إذا قيل إن المقصود منها هو واد اسمه السرر ، كان من ديار بني سعد بن بكر ، ثم فقد اسمه مع الزمن ، أو قيل هو وادي (السرر) المعروف قديماً في ديار قريش ، وأن الحادثة حصلت أثناء مرور حليمة بهذا الوادي وهي في طريقها ، ذاهبة به صلى الله عليه وسلم إلى ديار قومها ، أو قافلة به إلى مكة ، وإما أن تكون هذه الرواية تؤيد القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في أوطاس ، وذلك إذا قلنا إن المقصود من وادي السرر في هذا الأثر هو (وادي السرار) المعروف الآن ؛ وذلك لقربه من أوطاس .

---

[1] المصدر نفسه : **5/ 333 .**

الخاتمة :

يمكن تلخيص أهم نتائج هذا البحث في النتائج التالية :

1/ لم يثبت أن لبني سعد بن بكر سراة جنوب الطائف في الجاهلية أو صدر الإسلام ، حتى نهاية القرون الثلاثة الأولى ، على أقل تقدير .

2/ سروات جنوب الطائف في تلك المدة تسكنها قبائل : ثقيف ، وعدوان ، وفهم ، وبنو شبابة ، وبنو علي ، على الترتيب .

3/ السراة التي يسكنها بنو سعد في الوقت الحاضر ، كانت زمن البعثة لبني عدوان وفهم ، وقد يكون لشبابة فيها شيء .

4/ وجود مسجدٍ ودورٍ مهدمةٍ منسوبةٍ لحليمة السعدية ، في قرى جنوب الطائف ، والقول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ هناك مع أمه حليمة ، دعوى بلا دليل ، وشائعة سببها عصور الجهل .

5/ تقع ديار بني سعد بن بكر في زمن البعثة ، شمال الطائف إلى شماله الغربي ، شرق مكة إلى شمالها الشرقي .

6/ قبيلة بني سعد بن بكر إحدى قبائل عجز هوازن ، وديار عجز هوازن هي عالية نجد إلى الطائف ، وهي تشكل شبه مثلث ، رأسه في الطائف حيث سراة ثقيف ، وقاعدته إلى شمال مدينة الطائف ، حيث يحل بنو نصر في شرق قاعدة المثلث ، وبنو جشم وسط قاعدة المثلث ، وبنو سعد بن بكر غرب قاعدة المثلث .

7/ ديار بني سعد بن بكر، في زمن البعثة ، تقع إلى الشرق من ديار هذيل الشام ، أي شرق النخلتين ، وقاعدة ديارهم في الغور ، وربما ارتفعوا إلى فروع نجد .

8/ أشهر ديار بني سعد بن بكر ، التي ثبت أنها لهم في القرون الأولى من البعثة ، والتي يمكن بواسطتها تحديد الموضع الذي نشأ فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، هي :

أ / البوباة (البهيتة) .

ب / قرن المنازل (السيل الكبير) وما حوله .

ج / ذات عرق (الضريبة) وما حولها .

د / أوطاس (من بداية الغور حتى وادي العقيق) .

هـ / الديار الواقعة بين قرن المنازل جنوباً وأوطاس شمالاً .

9/ وادي السرر المعروف في كتب التأريخ والبلدان ، ليس من ديار بني سعد بن بكر ، بل من ديار قريش ، ولا يتصور أن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ هناك ، ولم يقله أحد .

10/ الرواية التي ذكرت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في وادي السرر مع أمه واخته ... لها أكثر من تفسير على فرض صحتها ، منها : أنها مرت بهذا الوادي وهي في طريق خروجها من مكة أو في طريق عودتها إليها . أو أن وادي السرر هذا هو وادي السرار المعروف الآن في طرف العقيق الشرقي ؛ للتشابه الكبير بين الاسمين ، أو هو واد في ديار بني سعد بن بكر كان يعرف قديماً بهذا الاسم ثم فُقِد الاسم مع الزمن .

11 / الراجح الذي تؤيده النصوص أن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في نجد بني سعد وباديتها ، وقد حددت النصوص موضع أوطاس على سبيل الخصوص (من أول الغور حتى أطراف العقيق) والراجح أنه صلى الله عليه وسلم قضى جلَّ وقته أو كلَّه هناك ، وهذا لا يمنع أن يكون أبواه صلى الله عليه وسلم ، قد تنقلا به خلال تلك المدة ، في أكثر من موضع من نجد بني سعد ، ومن غورهم ، وخصوصاً في الأماكن القريبة من أوطاس ، كذات عرق . وذلك بحسب الحاجة ، وتوفر الكلأ .

فهرس المصادر :

1) إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، للنجم ابن فهد ، جامعة أم القرى ، 1408 هـ .
2) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، لأبي عبدالله المقدسي ، الطبعة الثالثة ، 1411 هـ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة .
3) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، لأبي الوليد الأزرقي ، تحقيق رشدي ملحس ، دار الأندلس ، بيروت .
4) أخبار مكة ، لأبي عبدالله الفاكهي ، تحقيق عبدالملك بن دهيش ، الطبعة الثانية ، 1414 هـ ، دار خضر ، بيروت .
5) أساس البلاغة ، لجارالله محمود الزمخشري ، تحقيق محمد باسل ، الطبعة الأولى ، 1419 هـ ،دار الكتب العلمية ، بيروت .
6) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين ابن الأثير ، دار الفكر ، بيروت ، 1409 هـ
7) الاشتقاق ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق عبدالسلام هارون ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .
8) الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، تحيق علي البجاوي ، الطبعة الأولى ، 1412 هـ ، دار الجيل بيروت .
9) الأعلام ، للزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت .
10) الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1414هـ .
11) إفادة الأنام بذ كر أخبار بلد الله الحرام ، للشيخ عبدالله بن محمد الغازي المكي الحنفي.
12) إكمال المعلم بفوائد مسلم ، للقاضي عياض اليحصبي ، تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل ، الطبعة الأولى ، 1419 هـ ، دار الوفاء، القاهرة .
13) الأم ، للإمام الشافعي ، دار المعرفة ، بيروت .
14) الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة ، لزين الدين الحازمي الهمداني ، تحقيق الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة ، الرياض ، 1415 هـ .
15) الأمكنة والجبال والمياه ، للزمخشري ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرّائي ، دار عمّار ، 1419هـ .
16) الإنباه على قبائل الرواة ، لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الطبعة الأولى ، 1405 هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
17) الأنساب ، لأبي سعد السمعاني ، الطبعة الأولى ، 1408 هـ ، دار الجنان .

18) الأنساب ، لأبي المنذر سلمة بن مسلم الصحاري العماني (نسخة مصورة من برنامج المكتبة الشاملة) .
19) البداية والنهاية ، لابن كثير ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، 1408 هـ .
20) بلاد العرب ، للحسن الأصفهاني ، دار اليمامة ، الرياض ، 1388هـ .
21) البلدان ، لابن الفقيه ، تحقيق يوسف الهادي ، الطبعة الأولى ، 1416 هـ ، عالم الكتب ، بيروت.
22) بنو سعد فروعهم وديارهم ، للدكتور عياد الثبيتي ، مجلة العرب ، عدد 403 .
23) تاج العروس ، للزبيدي ، القاهرة ، 1306 هـ .
24) تاريخ الإسلام ، لشمس الدين الذهبي ، تحقيق بشار معروف ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، 2003 م .
25) تاريخ ابن خلدون ، تحقيق خليل شحاده ، دار الفكر ، بيروت ، 1408 هـ .
26) تاريخ الطبري ، لمحمد بن جرير الطبري ، الطبعة الثانية ، 1387 هـ ، دار التراث ، بيروت .
27) تاريخ خليفة بن خياط ، لأبي عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني ، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ، الطبعة: الثانية ، 1397هـ ، دار القلم ، دمشق .
28) التعليقات والنوادر ، للهجري ، دراسة ومختارات ، لحمد الجاسر ،الطبعة الأولى ، الرياض، 1413 هـ
29) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،الطبعة الأولى ، 1419 هـ ، دار الكتب العلمية .
30) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لأبي عمر ابن عبدالبر ، تحقيق مصطفى العلوي ومحمد البكري ، وزارة الأوقاف ، المغرب ، 1387 هـ .
31) تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 2001 م
32) تهذيب الأسماء واللغات ، لمحيي الدين النووي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
33) الجبال والأمكنة والمياه ، لجارالله محمود الزمخشري ، دار الفضيلة ، القاهرة ، 1419 هـ .
34) جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، دار المعارف ، القاهرة ، 1391 هـ .
35) جمهرة الأمثال ، لأبي هلال العسكري ، دار الفكر ، بيروت .
36) الجواب الصحيح ، لابن تيمية ، دار ابن القيّم ، القاهرة .
37) الجيم ، لأبي عمرو الشيباني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، 1394 هـ .
38) خزانة الأدب ، لعبدالقادر البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

39) **الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي ، تحقيق محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت .**
40) **دلائل النبوة ، للبيهقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1408 هـ .**
41) **ربيع الأبرار ونصوص الأغيار ، لجار الله الزمخشري ، الطبعة الأولى ، 1412 هـ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت .**
42) **الروض الأنف ، السهيلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى، 1412 هـ .**
43) **الروض المعطار ، لمحمد بن عبد المنعم الحميري ، تحقيق إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، دار السراج ، بيروت ، 1980م .**
44) **زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1415 هـ .**
45) **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي ، تحقيق عادل عبدالموجود وعلي معوض ، الطبعة الأولى 1414 هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .**
46) **سمط النجوم العوالي ، لعبدالملك العصامي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .**
47) **سيرة ابن هشام ، مصطفى السقا وآخرون ، مصطفى الحلبي ، 1355 هـ .**
48) **سنن أبي داوود ، لأبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت .**
49) **سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، لمحمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .**
50) **سنن ابن ماجه ، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .**
51) **السيرة الحلبية ، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي ، الطبعة الثانية ، 1427هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .**
52) **السيرة النبوية لابن كثير (من البداية والنهاية) ، تحقيق الدكتور مصطفى عبدالواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، 1395 هـ .**
53) **شرح أشعار الهذليّين ، لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، تحقيق عبد الستّار فرّاج ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة .**
54) **شرح ديوان الحماسة ، ليحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي ، دار القلم ، بيروت .**
55) **شرح النووي على صحيح مسلم ، الطبعة الثانية ،1392هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .**
56) **شعر أبي وجزة السعدي ، المجمع الثقافي بأبي ظبي ، الأمارات العربية المتحدة .**

57) الصاحبي في فقه اللغة ، لأحمد بن فارس ، الطبعة الأولى ، 1418 هـ .
58) صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، لأحمد بن علي القلقشندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
59) الصحاح ، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، الطبعة الرابعة ، 1407 هـ ، دار العلم للملايين ، بيروت .
60) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، الطبعة الثانية ، 1414 هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
61) صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار ، لمحمد بن بليهد ، الطبعة الأولى ، 1370 هـ ، القاهرة .
62) صحيح ابن خزيمة ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، الطبعة الثالثة ، 1424 هـ ، المكتب الإسلامي .
63) صحيح البخاري (مع فتح الباري) .
64) صحيح السيرة النبوية ، للشيخ ناصر الدين الألباني ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، الأردن .
65) صحيح مسلم (مع شرح النووي) .
66) صحيح وضعيف الجامع الصغير ، للشيخ ناصر الدين الألباني .
67) صحيح وضعيف سنن النسائي ، للشيخ ناصر الدين الألباني .
68) صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، دار اليمامة ، 1394هـ .
69) صورة الأرض ، لابن حوقل ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
70) ضعيف أبي داوود ، للشيخ ناصر الدين الألباني .
71) الطائف (جغرافيته ، تاريخه ، أنساب قبائله) لمحمد سعيد كمال ، جمع وتعليق الدكتور سليمان آل كمال ، مكتبة المعارف ، الطائف .
72) الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد الزهري ، دار صادر ، بيروت .
73) العباب الزاخر ، للصغاني ، المجمع العلمي العراقي ، 1398 هـ .
74) العقد الثمين ، للفاسي ، القاهرة ، 1385هـ .
75) عمدة القاري ، لبدر الدين العيني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
76) عيون الأثر في في فنون المغازي والشمائل والسير ، لمحمد بن عبد الله بن يحي ابن سيد الناس .
77) غريب الحديث ، لإبن قتيبة الدينوري ، تحقيق عبدالله الجبوري ، الطبعة الأولى ، 1997 م ، مطبعة العاني ، بغداد .
78) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأحمد بن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، 1379هـ.

79) في سراة غامد وزهران ، لحمد الجاسر ، دار اليمامة ، 1397هـ .

80) القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، الطبعة الثامنة ، 1426 هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

81) قبائل الطائف وأشراف الحجاز ، للشريف محمد بن منصور ، دار الحارثي ، الطائف ، 1401 هـ.

82) قصة الأدب في الحجاز ، لعبدالله عبدالجبار ومحمد خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية .

83) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، لأبي العباس القلقشندي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الطبعة الثانية ، 1402 هـ ، دار الكتاب المصري .

84) قلب جزيرة العرب ، لفؤاد حمزه ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1405 هـ .

85) الكامل في الأدب ، لمحمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

86) الكامل في التأريخ ، لعز الدين ابن الأثير ، تحقيق عمر تدمري ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، 1417 هـ .

87) لسان العرب ،لابن منظور ، دار صادر ، بيروت .

88) مجلة العرب ، العدد الثلاثون .

89) المحتضرون ، لأبي بكر ابن أبي الدنيا ، دار ابن حزم ، 1417 هـ .

90) المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده ، تحقيق عبدالحليم هنداوي ، الطبعة الأولى ، 1421 هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

91) مختلف القبائل ومؤتلفها ، لمحمد بن حبيب ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة .

92) المخصص ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده ، تحقيق خليل جفال ، الطبعة الأولى ، 1417 هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

93) مرويات غزوة حنين وحصار الطائف ، لإبراهيم قريبي ، الجامعة الإسلامية بالمدينة ، 1412هـ .

94) المسالك والممالك ، لابن خرداذبه ، دار صادر ، بيروت ، 1889 م .

95) مستخرج أبي عوانة ، لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الإسفراييني ، تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي ، الطبعة الأولى ، 1419هـ ، دار المعرفة ، بيروت .

96) مسند أحمد ، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، مؤسسة الرسالة .

97) مسند أبي يعلى ، لأبي يعلى أحمد بن علي الموصلي ، تحقيق حسين سليم ، الطبعة الأولى ، 1404 هـ ، دار المأمون ، دمشق .

98) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، للقاضي عياض اليحصبي، المكتبة العتيقة ودار التراث .

99) المصباح المنير ، للشيخ أحمد الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت .

100) المصنّف ، للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، دار الفكر ، بيروت .

101) المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ، لمحمد محمد شُرّاب ، الطبعة الأولى 1414 هـ ، دار القلم ، دمشق .

102) المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ، لعاتق بن غيث البلادي، الطبعة الأولى، 1402هـ ، دار مكة للنشر والتوزيع .

103) معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، دار صادر ، 1397هـ .

104) المعجم الجغرافي لمحافظة الطائف ، لحماد بن حامد السالمي ، الطبعة الأولى ، 1434 هـ ، لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي ، الطائف .

105) معجم قبائل الحجاز ، لعاتق بن غيث البلادي ، دار مكة 1403، هـ .

106) معجم قبائل المملكة العربية السعودية ، للشيخ حمد الجاسر ، الطبعة الأولى ، 1401 هـ ، النادي الأدبي ، الرياض .

107) معجم ما استعجم ، للبكري ، عالم الكتب ، بيروت .

108) معجم معالم الحجاز ، لعاتق بن غيث البلادي ، دار مكة ، 1401هـ .

109) معرفة الصحابة ، لأبي نعيم الأصبهاني ، تحقيق عادل العزازي ، الطبعة الأولى ، 1419 هـ ، دار الوطن ، الرياض .

110) معرفة الصحابة ، لابن قانع ، تحقيق صلاح المصراتي ، الطبعة الأولى ، 1418 هـ ، مكتبة الغرباء ، المدينة المنورة .

111) المغازي ، للواقدي ، عالم الكتب ، بيروت ، 1404 هـ .

112) المؤتلف والمختلف ، لابن القيسراني ، تحقيق كمال الحوت ، الطبعة الأولى ، 1411 هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

113) المناسك وأماكن طرق الحج ، لإبراهيم الحربي ، دار اليمامة ،1389هـ .

114) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، لأحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني القتيبي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

115) الموطأ ، لمالك بن أنس ، دار الغرب الإسلامي .

116) النبات ، لأبي حنيفة الدينوري ، دار اقلم ، بيروت .

117) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، للشريف الأدريسي ، الطبعة الأولى ، 1409 هـ ، عالم الكتب ، بيروت .

118) نوادر المخطوطات ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ، مصر ، 1373 هـ

119) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، للسمهودي ، الطبعة الأولى ، 1419 هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

120) الولاة والقضاة ، لأبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي ، تحقيق محمد حسن إسماعيل ، الطبعة الأولى ، 1424 هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

فهرس الموضوعات :